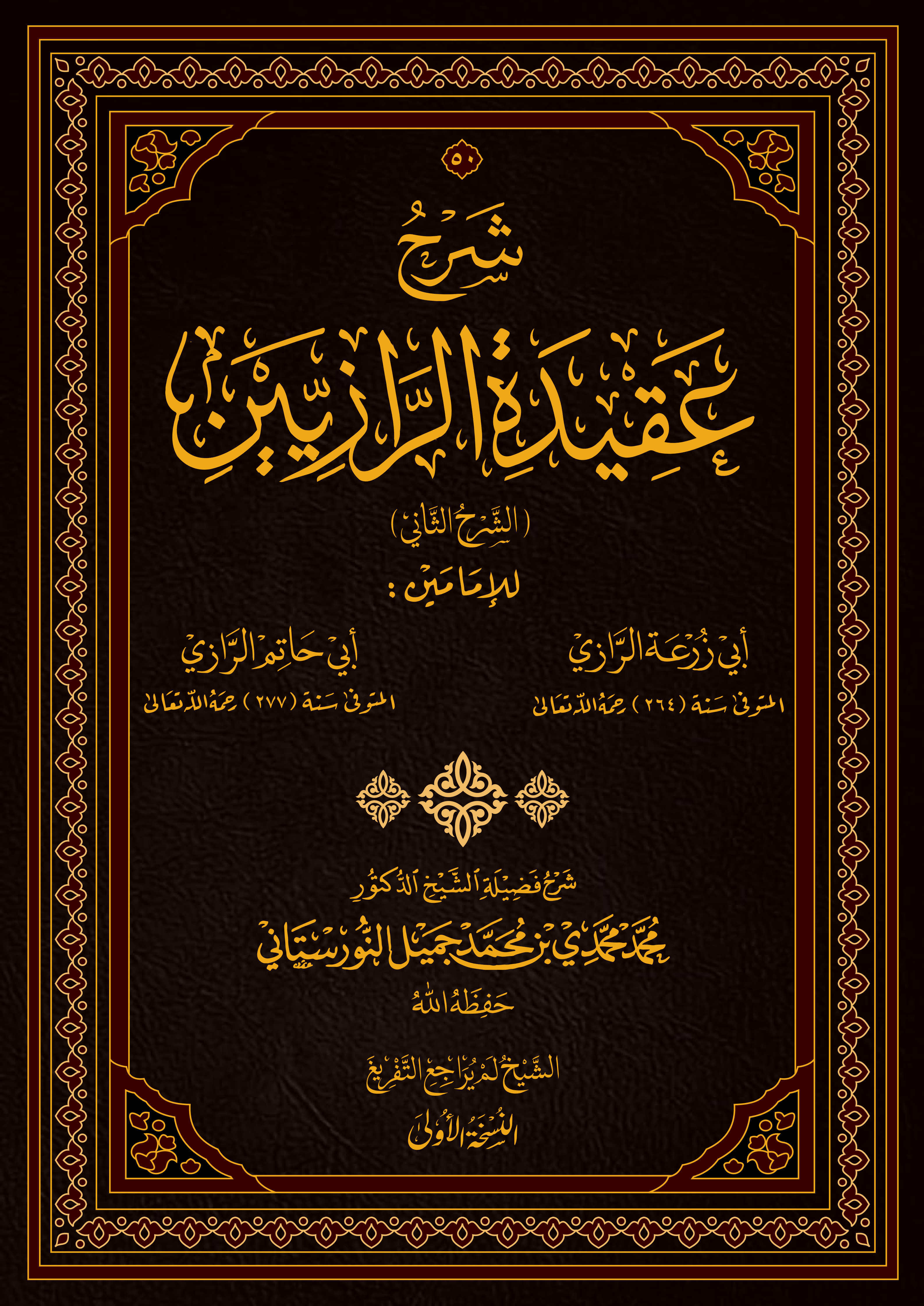
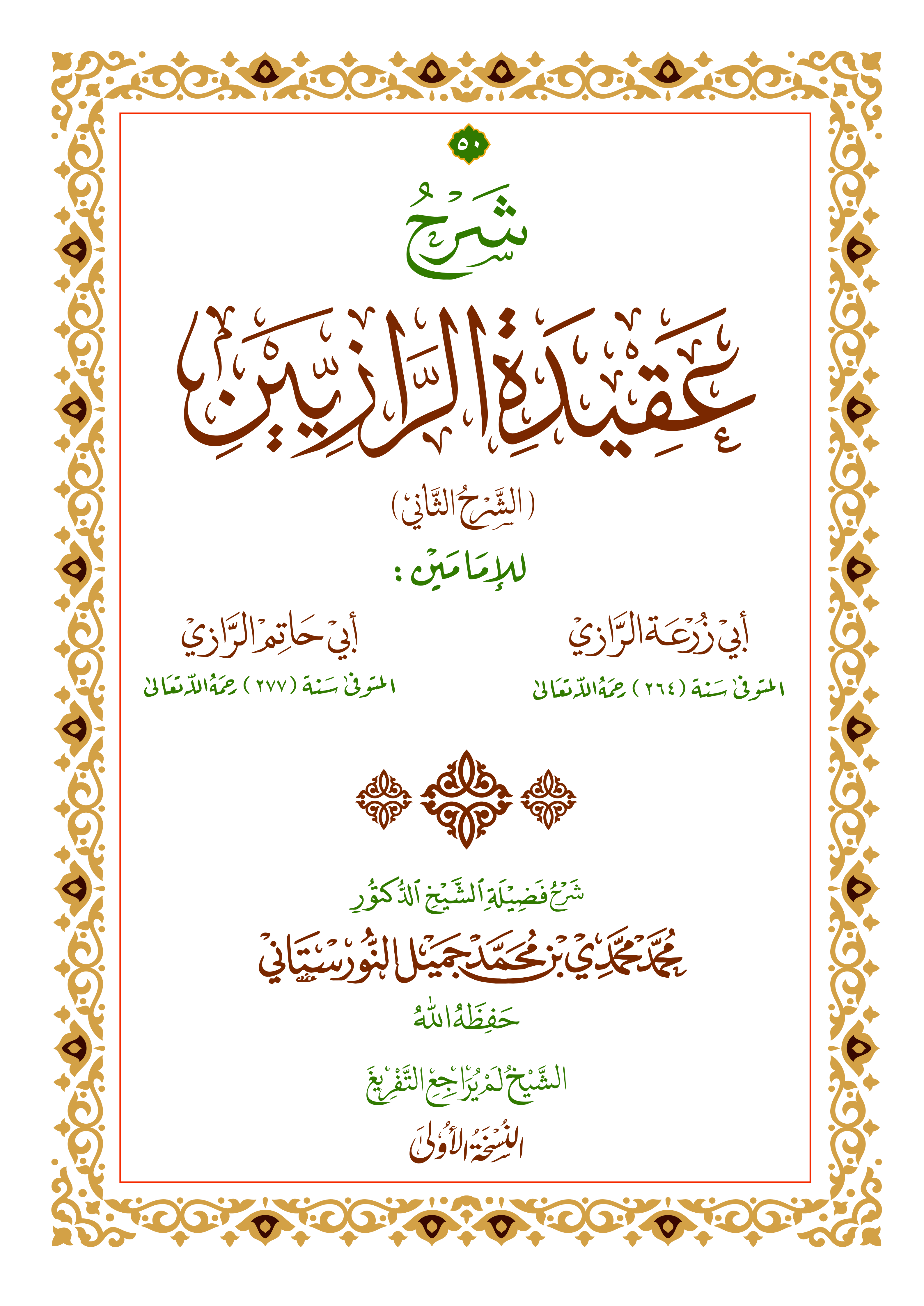

٥٠
شرح
عقيدة الرازيين
(الشرح الثاني)
للإمامين:
أبي زرعة الرازي
المتوفى سنة (٢٦٤) رحمه الله تعالى
أبي حاتم الرازي
المتوفى سنة (٢٧٧) رحمه الله تعالى
شرح فضيلة الشيخ الدكتور
محمد مهدي بن محمد جميل النورستاني
حفظه الله
الشيخ لم يراجع التفريغ
النسخة الأولى



شرح

عَقِيدَةِ الرَّازِيَيْنِ

(الشَّرحُ الثَّانِي)



٥٠

شرح عقيدة الرازيين

(الشرح الثاني)

للإمامين:

أبي زرعة الرازي
المتوفى سنة (٢٦٤) رحمه الله تعالى

أبي حاتم الرازي
المتوفى سنة (٢٧٧) رحمه الله تعالى

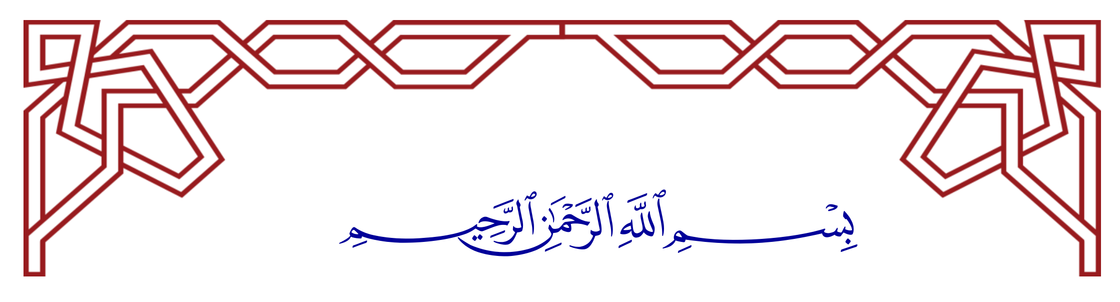
شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد مهدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى



مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها،

والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظًا ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة، مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[١].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (**الشرح الأول ٨ مجالسًا**).
٢- الأصول الثلاثة (**الشرح الثاني ١١ مجلسًا**).
٣- الأصول الثلاثة (**الشرح الثالث ١٧ مجلسًا**).
٤- القواعد الأربع (**الشرح الأول مجلس واحدًا**).
٥- القواعد الأربع (**الشرح الثاني مجلسان**).
٦- القواعد الأربع (**الشرح الثالث مجلسان**).
٧- نواقض الإسلام.
٨- كشف الشبهات.
٩- كتاب التوحيد (**ولا زال مستمرًّا**).
١٠- العقيدة الواسطية (**الشرح الأول**).
١١- العقيدة الواسطية (**الشرح الثاني**).
١٢- العقيدة الواسطية (**الشرح الثالث**).
١٣- لمعة الاعتقاد.
١٤- العقيدة الطحاوية (**أربعون مجلسًا**).
١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (**ثلاث مجالس**).

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠ - **العقيدة التدمرية** (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤ - **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٥ - **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٦ - **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣ - **الإخنائية، لابن تيمية** (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧ - **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام** (لازال مستمرًا).

٤٨ - **الصفات المعنوية.**

٤٩ - **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقى، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات
t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا وإياكم العلم النافع، وأن يزيدنا وإياكم من العلم النافع والعمل الصالح.

نرحب بفضيلة الشيخ الدكتور: محمد النورستاني بهذا الصباح المبارك؛ ليشرح لنا، ويوضح لنا عقيدة الرازيين سائلين الله تبارك وتعالى أن يوفقه، ويسدده، وينفعنا بعلمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

اللهم اغفر لي، ولشيخنا، وللحاضرين، ولجميع المسلمين.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَا: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ:

الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ.

وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ،

وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

هذه الرسالة المختصرة عبارة عن أسئلة وجهها الإمام ابن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإمامين من أئمة أهل السنة في وقته، وهما: والده أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، والإمام أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي.

والذي وجه هذا السؤال أو هذه الأسئلة في بعض الروايات هو إمامٌ، لو ألف من لو ألف هذه الرسالة من عنده، وحكى فيها عقائد أهل السنة لكانت رسالةً عظيمةً بالنظر إلى مؤلفها، فكيف إذا كان ابن أبي حاتم لا يكتفي بإمامته بل يوجه السؤال لإمامين عظيمين، وهما من أئمة زمانهما: أبو زرعة وأبو حاتم؟.

وكلاهما من أبرز الأئمة في ذلك الوقت؛ وهما من مصاف أمثال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولذلك الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما انتهى من تأليف صحيحه عرضه على أبي زرعة الرازي.

أبو زرعة الرازي الذي توفي سنة مائتين وأربعة وستين (ت: ٢٦٤)، وأبو حاتم توفي سنة مائتين وسبع وسبعين (ت: ٢٧٧).

فهما إمامان من أئمة أهل السنة، وقد حكيا ما حكياه هنا عن علماء الأمصار عمومًا، ولم يستثنيا في ذلك، وإنما ذكرا بعض بلاد الإسلام من بعض أمصار الإسلام في ذلك الوقت إشارةً بهما إلى غيرهما.

وهذا الذي أشارا إليه في بداية الرسالة، هذا في الحقيقة هي حكاية الإجماع على ما ذكراه في هذه المسائل.

يقولان: «أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا»

الشرح

والغريب أنهما لم يذكرا خراسان، ولا سجستان، ولا ما وراء النهر، تلك المراكز التي كانت في ذلك الوقت هي مدن الإسلام، المراكز التي يلجأ إليها طلاب العلم في ذلك الوقت كانت في خراسان.

ولذلك يقول أحد الأئمة: كأني بهذا العلم ذُهب به إلى خراسان.

خراسان تقع الآن في ضمن ثلاثة دول، وأيضًا ما بعد خراسان، ما وراء النهر، تلك البلاد كانت فيها المراكز العلمية، من تلك المراكز «الري» التي ينسب إليها الإمامان، الري النسبة إليها الرازي على غير القياس.

والري الآن حيٌّ من أحياء مدينة طهران، والري كانت مركزًا مهمًا من مراكز السُّنة في ذلك الوقت، وإلى الشرق منها وإلى الشمال منها تلك المراكز لم يشيرا إليهما، بل اكتفوا بهذه المدن «حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا» وكما قلت: للإشارة بها إلى غيرها في جميع المسائل.

ما دام أنهما في خراسان فما يحتاجا أصلًا أن يذكرا خراسان، يذكران المدن التي هي بعيدةٌ عنها، وأيضًا من هذه المدن التي ذكراها هي المدن التي يسكن فيها العرب: الحجاز؛ وهي فيها مكة والمدينة، وكذلك العراق والشام واليمن.

وكأنهما يشيران إلى أن الكتاب والسنة بما أنهما بلغة العرب فلابد أن تَنظر إلى مواطن اشتمالهم، وطريقة اشتمالهم، لأن بعض أهل البدع وخاصةً في تلك البلاد أُوتوا فيما أوتوا ووقعوا فيما وقعوا جهلًا منهم بلغة العرب كما سنذكر قصة لأحد من ضل في قضية الإماء، سنذكر محمد بن كرَّام؛ قصةٌ تدل على جهلهم وبعدهم عن لغة العرب.

واللغة العربية هي العظام، هي الأساس، وهذا المنهج والطريقة والسليقة التي كان عليها العرب، يعني: النبي ﷺ؛ لأن اللغة نحن نتعلمها من كتب المعاجم، خاصة الآن عمدتنا في تعلم اللغة في المعاجم، وعلوم اللغة كثيرةٌ من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وغيرها؛ يجب أن نركز في ذاك كله على المعاني

الشرعية، وأيضًا على اللغة قبل أن يدخل فيها ما دخل فيها من تأثير المتكلمين، دخل فيها، وغير مسارها في بعض الوقت.

نحن الآن ندرس في علوم اللغة، ندرس نظريات ونظن الكمال فيها بتأثيرٍ من المتكلمين، ونظنها جزءًا من اللغة العربية، هكذا وصلت إليها، لماذا؟

هذا المبتدع يقر شيئًا، وذاك المبتدع، يكمل شيئًا، ونحن نظنها كلها أنها اللغة.

ففي ذكر هذه المدن، قد تكون هناك أشارة أيضًا إلى هذا الأمر:

أن الأساس والأصل في فهم الكتاب والسنة:

ما عليه أولئك العرب، وليس ما عليه أمثال الجهم والجعد الذين هم من أبعد الناس عن اللغة العربية، وكذلك ابن كرام وغيرهم.

في هذه اللفتة التي نجدها في سؤال ابن أبي حاتم، أيضًا فيها مسألةٌ مهمة: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ.

ما الذي أدركتموه، وما الذي أدركتم عليه أولئك العلماء؟

هذا شيءٌ.

وما الذي اقتنعتم به من هذا الذي أدركتم عليه العلماء؟

فبداية: ما الذي أدركتم عليه العلماء؟ كأنه يقول؛ كأنه قدم ما أدرك عليه أولئك العلماء، لأن هذا الذي يهمه.

وما يعتقدان من ذلك؟

نحن نتصور، ولو تصور افتراضيًّا أنهما أدركا العلماء على هذا وعلى هذا، واقتنعا بهذا وهذا، فما الموقف في هذا؟ ونحن أمام إمامين جبلين.

لو كانت هناك مسائل اختلف فيها موقف الإمامين عما أدركا عليه العلماء فماذا سيكون الموقف بالنسبة لنا؟

الموقف على إمامتهما وجلالتهما، إلا أنا سنأخذ ما أدركا عليه العلماء، لماذا؟

لأن من أدركا عليه العلماء هو الأكيدة، وهي التي أخذوها من النبي ﷺ ومن أصحابه.

ولكن سنجد أن كل ما أدركا عليه العلماء هو الذي يعتقدونه وليس هناك خلاف، ولازلنا إلى يومنا هذا ليس عندنا شيءٌ أحدثناه، وأحدثه الإمام الفلاني وجعلناه جزءًا من العقيدة، لازلنا ولله الحمد نسير على هذا؛ ما أدركا العلماء في جميع الأمصار، هذه هي عقيدتنا، عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذه ميزة من ميزات عقيدة أهل السنة والجماعة، أنها عقيدة الكتاب والسنة، وعقيدة الصحابة، وعقيدة جميع العلماء الكبار الذين هم على منهج الصحابة.

لماذا نركز على هذه المسألة؟

لأنا سنجد الكتب التي أُلفت في علم الكلام: أجمع أهل الحق على كذا وكذا.

فأين هذه الإجماع؟

أجمع أهل الحق على أن الله ﷻ ينزه عن الجهوية والمكانية إلخ...

أين أجمعوا؟

هذه الإجماعات كلها لا كرامة لها.

مثل هذه الإجماعات التي يحكيها أمثال هؤلاء الأئمة ممن؟ من علماء الأمصار.

فلا تستفزنكم هذه الإجماعات التي تجدونها في كتب المتكلمين، لو تنظرون فيها ستجدون أن ما حكياه هنا، أبو زرعة وأبو حاتم، كلها بدون استثناء، باستثناء ما يتعلق بالصحابة، كلها خلاف الإجماعات.

نحن الآن أمام واقع، إذا نظرنا في كتب المتكلمين، هذه المسائل، الإمارة، والكلام، وكذلك كثيرٌ من المسائل التي تتعلق بالسمعيات، أكثرها خلاف الإجماع.

إذن أين هذا الإجماع الذي يحكيه أبو زرعة وأبو حاتم؟

نفس المنهج نجده عند الإمام البخاري، والإمام البخاري لما ألف رسالةً صغيرةً في بخارى، صدرها بمثل هذا الكلام.

أبو عبيد القاسم بن سلام قرين الإمام أحمد في الطلب، إمام أهل اللغة في وقته، صدر رسالته بمثل هذا الكلام.

وهناك روايةٌ أخرى عن الإمامين، رواها اللالكائي وغيره ذكرا فيها بعض الأئمة، من علماء الأمصار، هؤلاء الذين أشارا إليهم، ذكرا هذه الأسماء، في روايةٍ ذكرها اللالكائي وغيره.

يقول أبو حاتم: **مَذْهَبُنَا وَاخْتِيَارُنَا اتِّبَاعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي مَوْضِعِ بِدَعِهِمْ ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْأَثَرِ مِثْلِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، وَالشَّافِعِيِّ. وَلُزُومُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالذَّبُّ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَّبِعَةِ لِآثَارِ السَّلَفِ ، وَاخْتِيَارُ مَا اخْتَارَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي الْأَمْصَارِ مِثْلُ: مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْأَوْزَاعِيِّ بِالشَّامِ ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ بِمِصْرَ ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَحَمَّادِ بْنِ زِيَادٍ بِالْعِرَاقِ**، ثم ذكر آخر المختصر.

هذه الرواية ذكرها اللالكائي بعد الرواية التي نقرؤها.

إذن هذا الذي نقرؤه عليه أئمة أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا، وهي العقيدة التي نجدها في الكتاب والسنة، وهي العقيدة التي عليها علماء الإسلام.

فَقَالَا: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

الشرح

بدءا بهذه المسألة، لأن هذه المسألة من المسائل التي كان الخلاف فيها مبكرًا.

وأيضًا: هذه المسألة تنبني عليها مسائل ما يضاد الإيمان والكفر، أي اختلاف في الكفر ومسائل الكفر نتيجته باختلاف الإيمان، فإذا ضبطت المسائل المتعلقة بالإيمان تكون قد ضبطت المسائل المتعلقة بما يضاده، وهو الكفر.

الإيمان لغةً عند أهل السنة والجماعة: هو التصديق والإقرار.

ليس هو التصديق فقط، وإنما هو التصديق مع الإذعان، مع القبول.

ولا يختلف في هذا المتكلمون، في الجزئية الأولى: الإيمان في اللغة التصديق، يختلفون فيما بعدها: الإقرار، والإذعان، هم يرون أن الإيمان في اللغة التصديق فقط، وأن الإيمان مرادفٌ للتصديق لغةً، وهم يصرون على هذا لأن هناك مسائل ستنبني على هذا، فنحن نخالفهم في هذا، ونقول: الإيمان في اللغة هو تصديقٌ وإقرارٌ، تصديقٌ وإذعانٌ.

التصديق الذي ليس معه إذعانٌ، وليس معه قبولٌ، وليس معه عملٌ، هذا ليس تصديقًا، وليس إيمانا شرعيًا، وليس إيمانًا حتى في اللغة.

فالإيمان في اللغة تصديقٌ وإقرارٌ.

وفي الاصطلاح: قولٌ وعملٌ.

تعبيرات الأئمة للإيمان الشرعي عديدةٌ، أكثرهم على هذا التعبير: قولٌ وعملٌ.

القول ينقسم إلى قسمين، والعمل ينقسم إلى قسمين.

القول هو قول القلب وقول اللسان.

والعمل عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح.

صارت الآن بالتفصيل خمسةً:

قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح.

هذا هو الذي نجده هنا، على التعبير الذي عليه الأكثر.

والتعبير الذي هو أسهل، وعليه أكثر العلماء المتأخرين؛ لأنه أسهل: أن الإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان.

إذن الإيمان ثلاثة: يشتمل على قول اللسان والاعتقاد والعمل.

ومن يقتصر على قولٍ وعملٍ، فلابد أن يذكر أن القول قول القلب وقول اللسان.

قول القلب: هو تصديقه، وإيقانه.

ما يرد على القلب: إما أن يُصدق به، ويوقن به، وإما أن يستنكره، وإذا صدق به وأيقن به فهذا هو قوله.

وأما عمله: فهو الأثر الذي يترتب على هذا الإيمان وهذا التصديق، وهذا القول.

الأعمال القلبية كلها من الخشية والخشوع والتوكل والاستعانة كلها آثارٌ لقول القلب، الذي هو التصديق والإيقان.

وعمل القلب: هي الأعمال القلبية.

وعمل اللسان وعمل الجوارح.

وقلنا هذا الذي يكاد يستقر عليه المتأخرين، أن الإيمان هو اعتقادٌ بالجنان، وقول باللسان وعملٌ بالأركان، وهذا أسهل.

إذن الإيمان لا يُكتفى فيه بالقول، ولا يُكتفى فيه بالعمل، ولا يكتفى فيه بالاعتقاد.

نحن إذا نظرنا إلى أقوال المخالفين، سنجد أن بعضهم اكتفى بالقول: وهو محمد بن كرام السجستاني، هذا من المتقدمين، توفي في السنة التي توفي فيها الإمام البخاري، أو قبله بسنةٍ؛ على قولين.

محمد بن كرام السجستاني الزاهد المعروف، معروفٌ بالزهد، والمبتدعة الذين عُرفوا بالزهد خطورتهم تكون أحيانًا الدمار، هذا الرجل زهد وتأثر به كثيرٌ من الناس، توفي في بيت المقدس، وذكر المؤرخون أنه لما توفي كان المتبعون له في بيت المقدس حوالي عشرين ألف من المقادسة، يتبعونه في أن الإيمان قولٌ فقط.

أُخرج من سجستان، أخرجه والي سجستان بإيعاز من علمائه في ذلك الوقت، وذهب إلى نيسابور، وسُجن هناك ثمان سنوات، وهذا اعُتبر من ثباته، فزادوا تعلقًا به! ثم ذهب إلى بيت المقدس وتوفي هناك.

الإيمان عنده قول.

وهذا الرجل نسجت حوله كثيرٌ من الأساطير، وخاصة المتكلمون، وهذا مذهب الكرامية، لأنهم يتهمونا بأننا كرامية، أمثال الرازي يذكر كثيرًا عن اعتقاد أهل السنة ويربطها بالكرامية، لأن الكرامي هذا أيضًا كان مجسمًا، وأنا لم أقف على كلامٍ صريحٍ: ما الذي كان يريده بالتجسيم، إلا أن أئمة السنة وصفوه بأنه كان مجسمًا، وأن الله ﷻ عنده جسمٌ لا كالأجسام، وهذا أيضًا خطيرٌ، التعطيل خطيرٌ، كذلك التشبيه خطيرٌ.

وهذا قول محمد بن كرام.

وبعضهم اقتصر على التصديق، وهم مرجئة المتكلمين.

مرجئة المتكلمين هم الأشاعرة والماتريدية، مذهبهم : أن الإيمان تصديقٌ فقط.

يأتي بعدهم: مرجئة الفقهاء: يضيفون للتصديق، قول اللسان.

فعندنا: الإيمان هو القول باللسان فقط.

وعندنا: التصديق فقط.

وعندنا: قول باللسان واعتقاد بالجنان، أو قول وتصديق، وهذا قول مرجئة الفقهاء.

وأهل السنة كما قلت لكم: عندهم الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ.

مع أهل السنة في هذه المسألة: الخوارج، الخوارج معهم في هذا التقسيم الثلاثي، لا يختلفون معنا في تعريف الإيمان، ولكنهم يختلفون معنا في أمورٍ مهمة جدًا، هذه الأمور الثلاثة عندهم لا تقبل التفاوت.

الإيمان عندهم: كلٌ لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله.

والأقوال التي من الإيمان تتفاوت، منها ما لا يستقيم الإيمان ولا يتحقق إلا بها، كالتلفظ بالشهادتين، وبعضها يزيد الإيمان وينقص بها، ولكنها لا تنفي الإيمان.

وكذلك: الأعمال، «**الإيمان بضعٌ وستون أو بضعٌ وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**».

إذن النبي ﷺ أشار هنا إلى ثلاثة أقسامٍ من أقسام الأعمال التي تدخل في شعب الإيمان:

«**فأفضلها: قول لا إله إلا الله**»، وهذه الشعبة لا يتحقق الإيمان إلا بها.

«**وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق**»، وهذه الشعبة لا ينتفي الإيمان بانتفائها، ولكنه يزيد بوجودها.

«**والحياء شعبةٌ من الإيمان**»: الحياء من الشعب التي تنتظم كثيرًا من الشعب، فلذلك خصها النبي ﷺ بالذكر هنا؛ لأن من لا حياء له يرتكب كثيرًا من الفضائح، وكما في بعض الأثر: «**الحياء والإيمان قرينان**» الحياء قرين الإيمان.

فشعب الإيمان من الأقوال والأعمال تختلف، وعند هؤلاء الخوارج، وكذلك المعتزلة: الإيمان كلٌّ لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله.

لا ينظرون إلى التفاصيل التي وردت عن الأعمال، لأن مذهبهم أصلًا ليس مبنيًا على الكتاب والسنة، وهذا واقعٌ كثيرٌ منهم، أو أكثرهم، يكون المبتدع اقتنع بشيءٍ جهلًا منه أو عنادًا منه، مثل محمد بن كرام هذا، ثم يأتي أصحابه يستدلون له ويبررون لهم، وهكذا تتكون نظريةٌ تتناقل إلى الآن، وإلا المفروض أن تنتهي عند صاحبها.

محمد بن كرام يأتيه شخصٌ من أصحابه مثلًا، فيقول له: أين أنت من الكتاب والسنة؟ ويقر وينتهي؟ أليس كذلك؟

لا؛ هذا يخطئ، ويأتي من يبرر له، أحدهم ألف كتابًا مستقلًا في فضائل محمد بن كرام، والحمد لله أنه لم يصلنا.

وهكذا مرجئة المتكلمين: الإيمان عندهم في اللغة التصديق، وفي الشرع التصديق؛ لأن الحقائق اللغوية هي المقدمة على الحقائق الشرعية.

تغريب، حتى في أصول الفقه.

كما قلنا: الإيمان لغةً، العمدة على ماذا يكون؟

اللغة.

من أين نستقي هذه المعلومات؟

من كتب اللغة.

الإيمان شرعًا، ننتقل إلى ماذا؟

الكتاب والسنة.

إذن هذا مجال وهذا مجال، بقي هذين المجالين ملتبسين مختلطين إلى الآن في مدرسةٍ من أعظم المدارس، مدرسة الأشاعرة والماتريدية، هذه المسألة عندهم عمدة، الإيمان الشرعي هو الإيمان اللغوي؛ لأن الحقائق اللغوية مقدمة على الحقائق الشرعية!

وهكذا هذه النظريات لازالت.

إذن، عندنا الإيمان هو القول، هو التصديق، هو القول والتصديق، والقول والتصديق والعمل، ومعنا في هذا الخوارج، ويختلفون مع أهل السنة في مسألةٍ جوهرية، وهي: أن الإيمان عندهم كلٌّ لا يتجزئ، ولا يقبل التفاوت إذا ذهب بعضه ذهب كله.

هذه النقطة، الإيمان كلٌّ لا يتجزأ، يتفق فيها المرجئة مع الخوارج، بل هذه الشبهة هي التي فرقتهم، مع أنهم اتفقوا على أصل الشبهة:

المرجئة يقولون: الإيمان كلٌّ لا يتجزأ إذا وُجد بعضه وُجد كله.

هذا الرجل المعين الذي ارتكب الموبقات، هل تكفره؟

لا أكفره؛ إذن، إذا كان عنده بعض الإيمان يدل على أن عنده كل الإيمان؛ لأن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ؛ إذا وُجد بعضه وجد كله.

هذا مذهب المرجئة.

يقابلهم: الإيمان كلٌّ لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله.

إذن، الشبهة هذه يتفق فيها الفريقان.

ونحن نقول: الإيمان يتفاوت، قد يصل كما ذكر في الحديث إلى «أدنى أدنى أدنى من الذرة»، وقد يكون مثل إيمان أبي بكر وإيمان الأنبياء.

المرجئة، كثيرٌ منهم يقول: إيماني كإيمان أبي بكرٍ، بل يقولون: إيماني كإيمان جبريل، من أجل هذه الشبهة؛ أن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ إذا وُجد بعضه وجد كله.

أما الطرف الآخر: إذا ذهب بعضه ذهب كله.

هذه أقوال المخالفين.

وقول أهل السنة: الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، وهذه الأركان، لا يتحقق الإيمان بالقول فقط، ولا يتحقق بالعمل فقط، ولا يتحقق بالاعتقاد فقط، بل يتحقق بها كلها.

رجلٌ يعتقد اعتقادًا جازمًا، ويصدق، ويعمل، مع ذلك لا يتشهد بالشهادتين، مع أنه يستطيع، أما من لا يستطيع فشأن آخر.

هذا يستطيع، ومع ذلك لا يتشهد؟

هذا عند أهل السنة ليس مؤمن، مع أنه يعمل ويعتقد، ولا يتشهد، لابد أن يتشهد بالشهادتين.

شخصٌ يتشهد ويعمل، لكن لا يعتقد، أيضًا.

شخصٌ يعتقد ويتشهد، ولا يعمل، هذا ليس مؤمنًا عند أهل السنة.

الْإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

الشرح

هذه المسألة تابعة لمسألة تعريف الإيمان.

الإيمان عند أهل السنة قول واعتقادٌ وعملٌ، والأعمال تتفاوت، فلا إشكال عندهم أن يزيد وينقص.

لماذا يكون عندهم إشكال؟

أهل السنة عمومًا إن أخطأوا في التأصيل واكتشفوا أن هناك فروع وُجدت فيها أدلة تخالف تأصيلهم، يرجعون من هذا التأصيل؛ لأنه تأصيلٌ يخالف الأدلة، فلن تجدوا عندهم تأصيلًا يصطدم بدليلٍ في أي فرعٍ من الفروع.

فإن وُجد فهذا ليس مذهب أهل السنة، هذا خطأ وقع فيه فلانٌ أو علان من أهل السنة، وليس مذهب أهل السنة.

أما عند المبتدع، تجد أنه تأصيلًا يصطدم بدليلٍ، هذه البدعة تسببت في إنكار هذا الدليل، فلذلك هنا يبتدؤون بدعةً، هذه البدعة تجر بدعة أخرى، وهذه تجر بدعة أخرى، وهكذا.

الذي يقول: الإيمان قولٌ فقط، أو الإيمان اعتقادٌ فقط، ما وجدنا من يقول الإيمان عملٌ فقط.

المسائل المتعلقة بالإيمان، مثل: الإيمان يزيد وينقص، و الاستثناء في الإيمان.

هنا المرجئة يبنون خطأهم هنا على خطأهم في التعريف، يقولون: عندنا الإيمان بسيط، وليس مركبًا، فلا يتصور فيه التفاوت، ولذلك لا يزيد ولا ينقص.

طيب: أين النصوص؛ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣]؟

قالوا: هذه الزيادة في المُؤْمَنِ به، وليس في حقيقة الإيمان، المؤمن به وهو الشرع، لأن الشرع والأحكام كانت تنزل تدريجيًا، فرضت الصلاة، فرضت الزكاة، فرض الحج، وهكذا، فالأحكام التي تزيد على الصحابي في هذا اليوم قد تزيد غدًا بزيادة الأحكام، قالوا: فالزيادة المراد بها تلك الزيادة.

وهذا تأويلٌ في الحقيقة (١١:٤٦) النصوص، إذا أردت أن تتلاعب بالنصوص فبهذه الطريقة.

والغريب إلى الآن أن هذه المدارس موجودة، وتدعي أنهم هم أهل السنة.

فأهل السنة لما يقولون: الإيمان يزيد وينقص لماذا؟

لورود الأدلة.

وثانيًا: لأن أصلهم لا يشكل عليه.

أما أولئك فيخالفون هنا، أصلًا لا يمكنهم أن يقولوا يزيد وينقص، والأدلة كلها ضدهم، وباب التأويل مفتوح.

وكذلك: في مسألة الاستثناء في الإيمان: أهل السنة قولهم منسجمٌ مع تأصيلهم ومع الأدلة، وأهل البدع على خلاف ذلك.

إذن : الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، هذه المسألة الأولى التي ذكراها هنا.

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ،

الشرح

هذه المسألة الثانية.

قبل نشوء بدعة خلق القرآن كان بإمكانهم أن يكتفوا بقول: القرآن كلام الله، وبعد أن نشأت هذه البدعة، فأهل السنة يذكرون هذه المسألة بنصها هذا: القرآن كلام الله غير مخلوق.

لماذا؟

لأنه وُجدت في الفرق من يقول: القرآن مخلوق.

لماذا يقولون: القرآن مخلوق؟

لأنه يختلف معك في أصل المسألة، وهي: إثبات الصفات أو نفيها.

فالمسألة هذه هي فرع من مسألة إثبات الصفات.

أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا على إثبات جميع الصفات، ما ورد في الكتاب والسنة التي وصف الله ﷻ بها نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ.

مع وجود المعطلة، جاء من يقول أن إثبات الصفات يخدش في التوحيد! ولا يمكنك أن تكون موحدًا إلا إذا نفيت الصفات.

لماذا؟

لأن الصفات هذه إما أن تكون قديمة فيستلزم تعدد القدماء، أو تكون حادثة، فيستلزم حلول الحوادث، هكذا جاءت هذه الشبهة، فلا يمكنك أن تكون موحدًا إلا بنفي الصفات.

هذا أصل التجهم.

الجهمية عندما ينفون الصفات، المعركة عندهم معركة توحيد، فيقولون: نحن نثبت التوحيد؛ لأن إثبات الصفات يخالف التوحيد.

كل الفرق التي تنفي الصفات والأسماء الموضوع عندهم موضوع التوحيد.

وكما يقولون: كيف توحد الله وأنت تنفي ما أثبته الله لنفسه، كيف؟

التوحيد عند أهل السنة: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، إذن التوحيد لا يتحقق إلا بإثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ.

أما عندهم: التوحيد لا يتحقق إلا بهدم ركنٍ من أركان التوحيد.

إذن، إثبات الصفات عندهم أمارة التشبيه، لأن الصفات هذه يتصف بها المخلوق أيضًا، فلماذا تثبتها للخالق.

من الصفات التي ينفونها صفة الكلام، فيرون أن الله ﷻ لا يتصف بصفة الكلام، وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة، أن الله لا يتصف بصفة الكلام.

لماذا؟

لأن وصفه بصفة الكلام نفس الشيء، إما أن يكون كلامه قديمًا فيستلزم تعدد القدماء، والقديم واحد، وإما أن يكون حادثًا فيستلزم حلول الحوادث بذاته، وهذا أيضًا يتنافى مع قدم الله.

إذن، من الصفات التي نفوها صفة الكلام.

من المسائل المتعلقة بصفة الكلام: الكتب المنزلة كلها من كلامه ﷻ، الله لما أنزل القرآن، هذا كلام الله، والتوراة والإنجيل، كلها من كلام الله، هي بعض كلام الله ﷻ.

إذا كان القرآن من كلام الله، وكلامه صفةٌ له، فلا يكون مخلوقًا، المسألة واضحةٌ جدًّا، لأنها من صفته سبحانه.

فما الذي أداهم إلى القول بكون القرآن مخلوقًا؟

الذي أداهم إلى ذلك نفيهم لصفات الله، أنه لا يتصف بأي صفة، وبالتالي كلامه ليس صفةً له، وبالتالي القرآن ليس من كلامه الذي هو صفةٌ له، فماذا يكون؟

يكون مخلوقًا.

هذا مذهب الجهمية والمعتزلة.

والذي يصف الله بصفة الكلام، المفروض لا يكون عنده إشكال في كون القرآن من كلام الله ﷻ، وفي كون القرآن غير مخلوقٍ، هذا الذي نتوقعه، كما هو قول أهل السنة: أن القرآن من كلام الله، وكلامه صفةٌ له؛ إذن غير مخلوق.

ولكن وُجد فيمن يثبت صفة الكلام لله ﷻ أنه يثبت بعض الصفات، كما هو الحاصل في الكلابية والأشاعرة والماتريدية، وُجد فيهم من يوافق المعتزلة في كون القرآن مخلوق.

هذا القرآن مجزئ إلى سور وآيات، بدايته سورة الفاتحة ونهايته سورة الناس، إذن هناك ترتيب متعارف.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الباء ثم السين والسين قبل الميم.

إذن هذا ترتيب متعارف، هذا الترتيب عندهم يدل على الحدوث، لأن القبلية والبعدية يدل على أنه ليس قديمًا، القديم لا يكون قبله شيء.

هؤلاء الذين يوافقون أهل السنة على اتصاف الله بصفة الكلام وهم الكلابية يخالفون أهل السنة في هذا القرآن المنزل، فيرون أنه مخلوق؛ لماذا؟

لأن هذا القرآن المنزل فيه صفات تدل على الحدوث؛ إذن ليس هو كلام الله، بل هو دالٌّ على كلام الله، أو هو عبارة عن كلام الله.

هذا مذهب الكلابية.

وكنا نتوقع أن الكلابية أنهم يوافقوا أهل السنة في كون هذا القرآن غير مخلوق؛ لأنهم وصفوا الله بصفاتٍ، إذن انتفت الشبهة التي من أجلها التي وقع المعتزلة في هذا الانحراف.

هم لماذا يقولون: القرآن مخلوق؟ أصلًا لا يصفون الله بأي صفة، وبالتالي لا يصفونه بصفة الكلام، وبالتالي لا يبقى له إلا أن يكون مخلوقًا من المخلوقات.

أما هؤلاء الكلابية، هم ممن يتظاهرون، وهذا هو الواقع، أنهم يصفون الله ببعض الصفات، ومنها صفة الكلام، طيب: أيش الإشكال عندك أن يكون هذا القرآن عندك كلام الله غير مخلوق؟ وخاصةً أنك تدعي لأهل السنة والجماعة، أيش الإشكال؟

قال: الإشكال أن هذا القرآن فيه صفات تدل على الحدوث.

ولذلك يصرح كثيرٌ منهم أنه لا خلاف بينه وبين المعتزلة في كون هذا القرآن المنزل مخلوقًا، ولكن عنده قرآن وهو غير مخلوق، الذي هو الكلام نفسه.

ولذلك ألف ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة مستقلة أن القرآن هو هذا، ليس هناك قرآن باطن، رسالة مستقلة لبيان أن القرآن هو هذا، له رسائل، منها رسالة جميلة، (٥٨:٢٢)، ولكنها جميلةٌ جدًا، منها : رسالة هو أن القرآن هو هذا.

إذن من هؤلاء الذين يوافقون أهل السنة في وصف الله في صفة الكلام، ووافقوا أهل السنة أيضًا على أن له صفة الكلام، وأن من كلامه ما أنزله على رسله وأنبيائه، ومع ذلك كله، يخالفون أهل السنة في كون هذا القرآن غير مخلوق، ستجدون في كتبهم هذا.

مثلًا : ما ذكره الغزالي في كتابه «الاقتصاد»: ماذا تقول في القرآن؟ يقول: القرآن غير مخلوق، ولكن القرآن عنده ثلاثة أنواع، فيضيعك، ليوهمك أن هناك قرآنًا بكونه غير مخلوق، إذن هو ما (٥٩:٣٧).

لا، هذا القرآن المنزل عنده مخلوق، أبحثوا عن قرآن آخر يكون غير مخلوق عنده، هذا مخلوق.

إذن، بعد هذه الفتنة، أهل السنة ينصون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه من كلام الله ﷻ، وكلامه صفةٌ من صفاته، وصفات الله ﷻ : هل هي غير الله أو هي نفسه؟

صفات الله هي بالنظر إلى التعريف وبالنظر إلى التصور، تستطيع أن تقول: هي غيره.

أنت لما تتحدث عن صفة العين وصفة السمع، وأن السمع هو إدراك المسموعات، وأن البصر هو إدراك المبصرات، هكذا تُعرف بالصفة، تتصور هذه الصفة فعلًا.

إذن من هذه الناحية: الصفات غير.

أما من ناحية: الصدق، كما يقولون، الله ﷻ لما نقول: يا الله، نحن ندعوا ذاتًا متصفةً بصفات، أما أن تتصور أن هناك ذات، وهناك صفات!

الذات المتصفة بالصفات، ولذلك كان الإمام أحمد في مناظرته، ما كان يقول: الله وعلمه، بل كان يقول: الله بعلمه. حتى لا يُتوهم أن هناك تغايرًا بين الذات والصفات.

المبتدعة تصوروا أن هناك تغايرًا بين الذات والصفات، ولذلك بدؤوا يتصورون ذاتًا لا تتصف بأي صفةٍ، قالوا: إذا وصفنا هذه الذات بهذه الصفة. لا تكون أي ذات في الوجود إلا متصفة ببعض الصفات، لابد، منها صفة الوجود، وهل هناك خالق ومخلوق مثلًا، لابد أن تتصف بالصفات.

إذن تصوروا أن هناك ذاتًا مجردةٌ عن الصفات، وما هي علاقتها بالصفة؟

هذه التصور من أصله خطأ.

بِجَمِيعِ جَهَاتِهِ، أي: على أي وصفٍ كان، أو على أي حالٍ كان.

وجهاته هذه هي: تصريفاته وأحواله وأوصافه.

يقول الإمام أحمد: القرآن كلام الله غير مخلوقٍ بأي جهةٍ وعلى أي صفةٍ، كما نقله الخلال في «السنة».

وقد نُقل عن الإمام أحمد تفصيله في هذه الصفات، وهي خمسة، الجهات التي يشير إليها الإمامان هنا: الحفظ، التلاوة، السمع، النظر، الكتابة.

هذا القرآن لما أحفظه في صدري وهو كلام الله ﷻ، قد يقولون: كيف تحل صفةٌ من صفاته في المخلوق؟

هذا عندهم إشكال.

يقول: هو كلام الله بجميع جهاته، فإذا حفظته في صدري فهو كلام الله، وإذا قرأته فهو كلام الله، وإذا نظرت إليه فهو كلام الله، وإذا كتبته فهو كلام الله، وهكذا يكون الكلام.

كلامك مثلًا: لو أحفظه أنا، هل فيه تغيير؟

لا يزال كلامك.

وإذا كتبته، وإذا نظرت إليه مكتوبًا يظل ينسب إليك، هكذا كلام الله، فهو كلامه سواء حُفظ، وسواء تُلي وقُرئ، وسواء نظرت إليه مكتوبًا، وسواء كتبته.

ولكن القراءة والتلاوة والكتابة والنظر هذا عملك أنت؛ المخلوق.

لما تقرأ القرآن، فكما يقولون: الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري، صوتك وقراءتك وتلاوتك مخلوقة؛ لأنها عملك.

وأنت لما تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وتُريد باللفظ التلفظ، هذا صحيح، لكن إذا أردت باللفظ الملفوظ، فهو القرآن.

وهؤلاء الكلابية لما بدؤوا يتدارسون بمثل هذه الألفاظ، لأن هناك جانب في مذهب الكلابية خطيرٌ، تجده في الحقيقة مع المعتزلة في كون هذا القرآن مخلوق، بعد ذلك تجد في كتب الأشاعرة أن القرآن غير مخلوق.

بل تجد أن أهل السنة لما خالفهم المعتزلة في كون القرآن، سبحان الله تتحدث عن ماذا، تدقق معه، وتستمر معه، وستكتشف أن هذا القرآن مخلوق، عندهم هذا الجانب من الغموض، في مذهب الأشاعرة، مذهب الكلابي.

يختلف عن مذهب المعتزلة، المعتزلي صريح، القرآن مخلوق، وانتهينا.

الأشعري: القرآن قرانان، كذا وكذا، وفي النهاية: هذا القرآن مخلوق، فهو إذا وافق المعتزلة وصرح بذلك، وقد عرفت الأمة أن الذين خالف الأمة في هذه المسألة هم المعتزلة فتكون موافقته معه ظاهرة، وهذا أيضًا مصيبة، وإن لم يوافقه أيضًا مصيبة، فلذلك عندهم ظاهرة المراوغة، وقد تكون هذه متعمدة؛ لأن الموقف يتطلبه، فلذلك لن تجد أحدًا منهم يكون صريحًا في المسألة من البداية إلى النهاية.

أما المعتزلة فيريحوك، حتى ولو؛ يصرحون به.

إذن، القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، سواءً قرأته أو تلوته أو كتبته.

لما جاء الكلابية وعندهم هذا الغموض، بدأ كثيرٌ منهم يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. فإذا قيل له: أنت مع المعتزلة؟ قال: لا، المراد باللفظ هنا التلفظ.

طيب، لماذا لا تكون صريحًا؟ لماذا هذه اللفظة بالذات: لفظي بالقرآن مخلوق؟ أما وجدت لفظ آخر تعبر عن مقصودك؟

ولذلك الإمام أحمد بدع بعض اللفظية، وجهم بعضهم؛ حتى لا يلجأ الناس لمثل هذه الألفاظ التي فيها غموض.

وكما تعرفون: نُسب إلى الإمام البخاري أنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، لما كان في نيسابور، وكانت هناك فئة من الناس تريد الفتنة بينه وبين شيخه محمد بن يحيى الذهلي، في الأخير أشاعوا عنه أنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق.

الإمام البخاري حتى لو قال: لفظي بالقرآن مخلوق، كلامه صحيح، والذي يشك في ذلك يشك في نفسه، ومع ذلك الإمام البخاري حلف بالله العظيم أنه لا يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. حتى ولو قالها، كما قلت لكم، السني إذا قال لفظي بالقرآن مخلوق، لا يريد باللفظ إلا التلفظ، مع ذلك نقول: لا ينبغي أن نستخدم مثل هذه الألفاظ التي فيها غموض، وخاصةً من مثل البخاري، فكلامه صحيح، ومع ذلك يحلف الإمام البخاري أنه لم يقل.

اتهموه أنه من اللفظية، وأخرجوه من نيسابور.

وجدنا أن هناك من هو موقفه ليس واضحًا، وأن هناك من هو موقفه واضح مثل الجهمية والمعتزلة الذين يرون أن القرآن مخلوق.

وبجميع جهاته، هذا يرجع إلى الوصف والحال.

والطوائف المخالفة لأهل السنة في صفة الكلام، وفي القرآن بخصوصه، هم المعتزلة والجهمية والكلابية على تفصيلٍ ذكرته.

وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح

هذه المسألة الثالثة.

القدر خيره وشره من الله، أي: أن الله هو الذي قدر المقادير كلها.

والإيمان بالقدر له مراتب، لا يتحقق إلا بالإيمان بها كلها:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

لابد أن تؤمن أن الله ﷻ علمه أزلي، وعلمه شاملٌ لكل معلومٍ، وعلمه محيطٌ.

المرتبة الثانية: الكتابة.

لابد أن نعتقد أن الله ﷻ كتب كل شيءٍ في اللوح المحفوظ.

والمرتبة الثالثة: المشيئة.

أن نعتقد أن مشيئة الله ﷻ الكونية نافذةٌ، وعامةٌ، لا يخرج منها شيءٌ من الأشياء، فلا يكون في هذا الكون شيءٌ إلا بمشيئة الله الكونية.

المرتبة الأخيرة: الخلق.

أن جميع المخلوقات هي مخلوقةٌ لله ﷻ، ليس هناك مخلوقٌ خلقه غير الله.

الإيمان بالقدر ينتظم هذه المراتب الأربعة، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بهذه المراتب: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، بهذا الترتيب.

فاجتماعنا هذه مثلًا: الله ﷻ علمه، وكتبه، وشاء أن يكون، وخلقنا ليكون.

والطوائف المخالفة لأهل السنة في القدر طائفتان، بالنظر إلى هذه المراتب:

الطائفة الأولى: طائفة كانت تنكر العلم والكتابة.

وهذه الطائفة كانت في أواخر عهد الصحابة، وفيهم الحديث في صحيح الإمام مسلم، وهذه الطائفة لا وجود لها الآن؛ لأن من ينكر العلم ينكر جميع المراتب، الذي ينكر العلم سينكر الكتابة والمشيئة والخلق.

أما القدرية الموجودة الآن تنكر عموم المشيئة، وتنكر عموم الخلق.

وخاصةً في أفعال الله ﷻ، وهذا التفصيل سنعرفه بالتفصيل في أفعال المخلوقين.

ومسألة القدر عمومًا فيها طائفتان متقابلتان: طائفة القدرية، وطائفة الجبرية.

وهذا العموم سنعرفه بعرض مواقف الناس في أفعال الإنسان.

أفعال الإنسان اختلفت فيه الطوائف على أربعة أقوال، وهذا التفصيل إذا عرفناه سنعرف مواقف جميع الطوائف في القدر:

القول الأول: قول القدرية، وهم المعتزلة: يرون أن أفعال الإنسان مخلوقةٌ له، الله خالق كل شيء باستثناء أفعال الإنسان.

ونحن نسميهم قدريةً؛ لأنهم ينكرون القدر؛ قلنا الإيمان بالقدر لا يتحقق إلا بأربعة مراتب، والإيمان بهذه المراتب كلها، وهؤلاء لم يؤمنوا بعموم المشيئة ولم يؤمنوا بعموم الخلق، لذلك قلنا: هم قدرية، أي: منكرو القدر.

يرون أن أفعال الإنسان مخلوقةٌ للإنسان، وليست مخلوقةً لله ﷻ.

يقابلهم: الجبرية: والجبرية إمامهم الجهم بن صفوان: يرى أن الإنسان ليس له فعلٌ أصلًا، حتى نختلف في نسبته!

الإنسان ليس له فعلٌ أصلًا، الإنسان كالريش في مهب الريح، كما يقولون، والفعل عندهم لله، والإنسان محلٌ للفعل، وليس فاعلًا للفعل، ليس له مشيئةٌ، وليس له قدرةٌ، وإنما هو محل للفعل، هذا مادام النوم يغلبه، هذا مذهب الجبرية؛ يرون أن الإنسان ليس له فعلٌ.

في هذه المسألة الجهمية والجبرية كلاهما متفق؛ لأن إمامهم الجهم، الجهمية يسمون الجهمية، لا تظن أنهم...، هم هم الجهمية؛ هنا الجهمية يسمون في باب الصفات يسمون الجهمية، وهنا يسمون الجبرية، وفي باب الإيمان يسمون المرجئة الخُلص، مذهبهم أن الإيمان هو المعرفة فقط، وليس التصديق، سواءً صدقت أو لم تصدق فهذا هو الإيمان، فإبليس عندهم مؤمن كامل الإيمان.

فالجهم هذا إمام الجهمية، وإمام المرجئة، وإمام الجبرية.

المذهب الثالث: مذهب الأشاعرة.

فعل الإنسان يُنسب إلى الإنسان خلقًا وفعلًا عند القدرية، وينسب إلى الله خلقًا وفعلًا عند الجبرية، ويُنسب إلى الإنسان فعلًا وإلى الله خلقًا عند أهل السنة والجماعة.

وعند الأشاعرة ينسب إلى الله خلقًا، وإليه أيضًا فعلًا، فصاروا مع الجبرية، ولكن يُنسب إليه الكسب، فعله ينسب إلى الله، وكسبه ينسب إليه!

هناك شيءٌ يسمونه: الكسب.

الكسب: هو فعلٌ، بما ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

فالفعل إذا نُسب إلى الله ﷻ ما بقي شيءٌ تنسبه إلى الإنسان؛ فلذلك كانت نظرية من النظريات الغامضة في الكلام، مثل: نظرية الحال، ونظرية الطفرة، من محارات علم الكلام.

مذهب الأشاعرة في الحقيقة هو مذهب الجبرية كما عرفنا تفصيله، وهذا الذي زادوه لا يُغير شيئًا من الواقع، فلذلك هذه النظرية غامضة حتى عند الأشاعرة، لأنك إذا نسبت الخلق والفعل لله، ما بقي؟

قام زيدٌ.

ما الذي وُجد هنا؟

فعله، وهو القيام، وخلق، الله ﷻ خلق هذا، فما بقي شيءٌ.

الفعل والخلق، عند الجبرية: كلاهما لله، ما الذي بقي؟

هذا الذي يسمونه الكسب شيءٌ غامض.

النظرية لما تكون واضحةً، حتى ولو كانت باطلة، لكن إذا كانت واضحة، يكون الموقف فيها واضح، أما إذا كانت غامضة، فعلام تفهم النظرية، وعلام تحكم فيها، وعلام...؟

ولذلك يصرح كثيرٌ من الأشاعرة أن مذهبهم مذهب الجبرية، هم يسمونه جبرًا متوسطًا، وفي الحقيقة مذهبهم مذهب الجبرية، وهذا قد صرح به عددٌ منهم، منهم الرازي، صرح بأن مذهبهم مذهب الجبرية، وهذا هو الواقع.

إذن الأقوال في أفعال الإنسان أربعة: مذهب القدرية، ومذهب الجبرية، ومذهب الأشاعرة، ومذهب أهل السنة والجماعة.

وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أي: كونه، فالله ﷻ هو الذي قد قدره.

والشر لا يُنسب إلى الله ﷻ هكذا بمفرده، لا يقال مثلًا: الله ﷻ خالق الشر؛ لأن الله ﷻ الشر ليس إليه، لا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه؛ لذلك لا ينسب الشر إليه، ولكن الشر الموجود هو عبارة عن الألم.

حيةٌ لدغت فلانًا، هذا الألم الذي نتج عن وجود الحية، هذا شرٌ بالنسبة له، ولكن الخير الذي هو موجودٌ في هذه الحية، حكمٌ الله ﷻ من خلق هذا المخلوق، لا نعرفها، ولكنه بالنسبة إلى هذا المخلوق شرٌّ، من الذي خلقه؟

خلقه الله، ولكنه شرٌّ بالنسبة إليه، ولكنه شرٌّ بالنسبة إليه وليس شرًّا مطلقًا؛ إذن شره بالنسبة إلى فلان؛ ليس هناك شيءٌ شرٌّ محضٌ، ولكن الأمور بالنسبة إلى فلان خير وبالنسبة إلا فلانٍ شرٌّ، فما أصابه هذا لم يخرج عن مشيئته الكونية، ولم يخرج عن خلقه، ونعتقد أنه من الله ﷻ.

ونسبة الشر إلى الله إما أن تكون بنسبتها إلى المخلوق، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١ - ٢]؛ لأن الذي أصابه أصابه من مخلوقٍ، فنحن نستعيذ بالله من شر المخلوقين.

أو يكون بالعموم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢] هكذا، ولكن ليس من الأدب أن تنسب الشر إلى الله ﷻ بمفرده.

والشر كما قلنا، ما يصيبك من الألم، وهو شيءٌ نسبيٌّ.

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

اللهم اغفر لي، ولشيخنا، وللحاضرين، ولجميع المسلمين.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ ، وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١]. وَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

الشرح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

لا زلنا مع اعتقاد أهل السنة أو ما تسمى بعقيدة الرازيين: الإمام أبو زرعة الرازي والإمام أبو حاتم الرازي.

بعد أن ذكرا مسألة الإمام، ومسألة صفة إكرام الله ﷻ، وذكرا أيضًا مسألة القدر، ذكرا مسألة الصحابة.

وهذه المسألة أيضًا ذكراها؛ لأن هناك من يخالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، وكما تلاحظون لم يذكرا هنا فضل النبي ﷺ ومكانته وجاهه... في عقيدة أهل السنة والجماعة لأن هذه المسألة لا يختلف فيها أحد في الجملة.

وعادة المؤلفين في الاعتقاد وخاصةً في تلك الفترة أنهم يقتصرون على المسائل التي يكون فيها خلاف، بمعنى المسألة هذه فيها خلاف فذكروا هذه المسألة.

وصدر الصحابة رضي الله عنهم هو متفرعٌ عن فضل من صاحبوه وهو النبي ﷺ، ولذلك لما ذكر الله عز وجل فضلهم في آخر سورة الفتح، وذكر أوصافهم قدَّمها بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

وفي وصف النبي ﷺ بالرسالة وصفٌ له بكل خير، لأن الرسول والأنبياء عمومًا والرسل هو المصطفون من عباد الله عز وجل، الله عز وجل يصطفيهم برسالته.

ولا يصطفي لهذا المقام العظيم إلا من كان أهلًا لذلك، ففي قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ وصفٌ له بتلك الأوصاف الجميلة؛ وفيها اختصار لأنها مقدمة لما بعدها.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، هنا الله عز وجل بيَّن الأوصاف التي بها فُضِّل الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾.

الأوصاف التي بها فُضِّل الصحابة:

الوصف الأول: أنهم صحابة رسول الله ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾؛ هذه المعية التي حصلت لهم، وهذه الفضيلة لا يشترك معهم أحد، بقية الأوصاف التي تذكر قد يمكن الاشتراك معهم فيها، ولكن مع ملاحظة التفاوت العظيم بينهم وبين غيرهم حتى في تلك الأعمال.

فالعمل الذي قام به الصحابة مثلًا قبل الهجرة، الذين مع النبي ﷺ العمل الذي عملوه في تلك الفترة هذا العمل بعينه لو يُعمل بعده، هناك تفاوت في الدرجة.

العمل الذي عمله فلان من الصحابة في فترة الصحبة، في فترة وجود النبي ﷺ، هذا العمل بعينه لو عُمِلَ بعده وعمله غير الصحابة فهناك تفاوتٌ عظيم.

فيمكن الاشتراك مع ملاحظة هذا التفاوت العظيم في الدرجات إلا أن الصحبة ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ هذا العمل، هذا فضلٌ خصوا به الصحابة لفضل من الله ﷻ، والله ﷻ يفضل من يشاء بما شاء.

وهذا الفضل لا يتأتى لأحدٍ بعدهم، لا يتأتى لأحدٍ أن يُحصِّلوا شيئًا منه، وهو فضل الصحبة.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، هذا وصفهم.

دائمًا يظهرون الشدة والغلظة للكفار، وفيما بينهم رحماء، رحماء بينهم، هذه ثلاث أوصاف.

وصفهم بعد ذلك: بكثرة الأعمال ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾، صيغ المبالغة ركعًا سجدًا، وصفهم بكثرة الأعمال.

وذُكر هذا العمل الذي هو الصلاة؛ ومن أفضل أركان الصلاة الركوع والسجود، ذُكر هذا كمثال تراهم ركعًا سجدًا، ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾.

ماذا يبتغون؟ ماذا يطلبون؟

يطلبون الجنة، ويطلبون رضا الله ﷻ.

هذا فيه وصفهم بالإخلاص، وهذا فيه تزكيتهم في نياتهم، وهذه التزكية من أعظم ما تكون، الله ﷻ يزكيهم هكذا بالجملة، يزكيهم في نياتهم، وأن أعمالهم هذه يبتغون بها رضا الله ﷻ.

وهذه التزكية لو تقف معها، وتتدبر فيها، وأن الله ﷻ يزكي فلانًا بالجملة في نيته فشيءٌ عظيم، وهذا يبين عظم شأن الصحابة، وعظم مكانتهم وجاههم.

ثم بيَّن الله ﷻ أن الصحابة ورد ذكرهم في الكتب السابقة، فهذا أيضًا لم يحصل لأحدٍ من صحابة الأنبياء والرسل أن يكون قد ورد ذكرهم في كتب الأنبياء قبلهم أو بعدهم، هذه أيضًا فضيلة خُص بها الصحابة رضي الله عنهم ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾.

ذكر القرطبي والشنقاني أنه يجوز أن تقف هنا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ تقف هنا، ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾يكون استئناف.

ويجوز أيضًا أن تقف عند ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل، تقف عند الإنجيل يجوز ذلك؛ فيكون كل ما ذُكر قد ورد في التوراة والإنجيل على الوقف الأول يكون ما ذُكر في التوراة، وما بعده يكون في الإنجيل.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾، لأن صحابة النبي ﷺ ورد ذكرهم في الكتب السابقة.

﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾.

الشطء هو فراق الشجر، ويأتي أيضًا بمعنى ورق الشجر، ويأتي أيضًا بمعنى النبات الذي يكون حوله.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: فشدَّه وقواه، هذا الشطء يقوي الزرع.

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ صار غليظًا بعد أن كان رقيقًا هذا الزرع.

﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ سوقه صار قويًا بنفسه، ولما حوله من النبات.

﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ الزارع هذا يعجبه هذا المنظر محبب إلى نفسه بالنسبة للزارع.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ الله ﷻ مثَّل مثال، الصحابة مع النبي ﷺ ضرب لهم هذا المثال.

النبي ﷺ كان لوحده، ثم آمن به الصحابة وأحاطوا به، وبدأوا يزدادون، وكلما زاد الصحابة زاد غيظ الكفار، إن هذا المنظر ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾.

ذكر الخطيب وغيره عن الإمام مالك أن الإمام مالك استدل بهذه الآية على من سب الصحابة أو نال منهم فله من هذه الآية نصيب.

فكل هذا في الصحابة.

أيضًا هناك آيات أخرى فيها تعديلٌ في الجملة لصحابة رسول الله ﷺ، وأيضًا فيها أن الله ﷻ رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وهؤلاء هم صحابة النبي ﷺ، فعقيدتنا فيهم أن نؤمن بكل ما ورد فيهم من الفضل في الكتاب والسنة من حيث الإجمال.

ثم هناك تفاوت بين الصحابة كما أن هناك تفاوت بين الأنبياء والرسل، ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣] هذا التفاوت هو الذي بدأ به الرازيان، ولم يشيرا إلى فضل الصحابة من حيث الأمور، إنما أشارا في آخر الفقرة إلى الترحم والترضي، والكف عما شجر بينهم.

وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ،

الشرح

وهذه المسألة التي بدأ بها هي تتعلق بالتفاوت بين الصحابة ﷺ، الصحابة بينهم من التفاوت إما قد بيَّنته النصوص، هذا التفاوت جاء ذكره في القرآن وجاء ذكره في السنة.

واتفق الصحابة من حيث الجملة أن أفضلهم بعد الصحابة هم العشرة المبشرون بالجنة، وأن أفضلهم بالترتيب الأربعة الأولون: أبو بكر ﷺ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ؛ بهذا الترتيب.

وأجمعوا على هذا الترتيب في الخلافة، فمن يخالفهم في الخلافة فهذا مبتدعٌ بهذا الترتيب، ولكن الفضل هناك خلافٌ بين عثمان ﷺ وبين عليّ بن أبي طالب ﷺ، هناك خلاف في تفضيل أحدهما عن الآخر، ولكن جمهور الصحابة المهاجرون والأنصار، جمهورهم على تفضيل عثمان بن عفان ﷺ على عليّ بن أبي طالب ﷺ، أما مسألة الخلافة فلا خلاف فيها.

أما مسألة التفضيل بين هذين الصحابيين الجليلين ففيها خلاف، والمخالف في ذلك لا يُبدَّع.

مع أن الجماهير من الصحابة هم على تفضيل عثمان بن عفان ﷺ.

أبو بكر الصديق خمسة من العشرة المبشرين بالجنة أسلموا بسبب هذا الرجل الصديق، وهو أول من أسلم من الصحابة، جمع بين الأولية وبين كثرة الأعمال، لأن بعض الصحابة هنا مثلًا عمر بن الخطاب ﷺ أسلم عام (٧ من البعثة)، ولكنه تقدم كثيرًا ممن أسلموا قبله تقدمهم بإخلاصه وبأعماله، لكنه لم يجمع بين الأولية والأفضلية.

هذا أبو بكر ﷺ لا يسبقه أحد من هذه الأمة في شيءٍ من الأعمال، هذا الفضل الذي اختُص به.

ثم عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان إسلامه عزًا للمسلمين، يقول ابن مسعود: ما زلنا أذلةً حتى أسلم عمر.

بعد ما أسلم عمر ﷺ بدأوا يظهرون الإسلام وكثر الداخلون فيه، وأيضًا الذين كانوا قد أسلموا بدأوا يظهرون الإسلام بجرأةٍ، عمر بن الخطاب كان أمةً، مع أنه تأخر إلا أنه تقدم من سبقه بأعماله الجليلة.

والإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاد أن يستقصي فضائل الصحابة، وخاصةً الأحاديث التي على شرطه.

بدأ بهذا الترتيب، نفس الترتيب الذي هنا: فضائل أبي بكر، ثم فضائل عمر، ثم فضائل عثمان، ثم فضائل علي بن أبي طالب، ثم بقية الصحابة.

ثم عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عثمان بن عفان الذي زوجه النبي ﷺ بنتيه، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ممن تستحي منه الملائكة كما ورد في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ممن قال له: بل هذا لا يؤخذ إلا له، «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**»، العمل الذي قدَّمه في تجهيز جيش العسرة، النبي ﷺ يقول: «**ما ضرَّه ما عمل بعد هذه**».

فضائله أيضًا كثيرة.

علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأقرب الناس للنبي ﷺ، وابن عمه، وزوج بنته فاطمة سيدة نساء العالمين.

وفضائله أيضًا كثيرة ومتنوعة؛ ذكر الإمام أحمد: أن من الحكم في كثرة فضائله وتنوعه هذا الصحابي الجليل أنه تأخر نسبيًا، نسبةً بقية الصحابة، وكلما تأخر الوقت بدأت البدع، وظهرت البدع، وحدثت البدع.

فلذلك أهل السُّنة والجماعة ركزوا على إبراز فضائله، لأن هناك من خرج عليه في وقته، وأولئك الذين خرجوا عليه كانوا يدَّعون أنهم يريدون الخلافة الراشدة، وأن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا يستحق الخلافة، أولئك الخوارج الذين أشغلوا الأمة قديمًا وحديثًا.

فاحتاج أهل السنة في ذلك الوقت إلى إبراز فضائله، وروايتها ونشرها بين الناس، وأن من يخالفه من أهل الضلال.

وعلي بن أبي طالب في وقته أفضل هذه الأمة بلا نزاع حتى على الخلاف لتفضيل بينه وبين عثمان في وقته أفضل هذه الأمة، ومع ذلك قتله أولئك تقربًا إلى الله ﷻ، يتقرب بدمه إلى الله ﷻ هكذا منهج الخوارج.

مما خُص به أيضًا أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه لم يذكر أحد بالصحبة في القرآن إلا هو، ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة:٤٠]، هذا أيضًا لم يأت لأحد أن يكون ذُكر بالصحبة لوحده في القرآن.

بعد هؤلاء الأربعة يقول الرازيان:

وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ.

الشرح

أي: العشرة المبشرون، سموا بالعشرة المبشرين لأنه وردت أسماؤهم في حديثٍ واحد، حديث سعيد بن زيد، وحديث عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة...**».

ولذلك سموا العشرة المبشرين بالجنة، وإلا هناك عدد من الصحابة بشروا بالجنة في أحاديث صحيحة من الذكور: الحسن، والحسين، والقاسم، والمحسن، ومن النساء: فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ونحن نؤمن أن كل من شهد له النبي ﷺ بالجنة فهو في الجنة، نشهد لهم بذلك.

أما من لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة فلا نشهد له بالجنة.

هذه المسألة أيضًا يذكرها الصحابة، لأن هناك خلافًا في هذه المسألة والخلاف من قِبل الخوارج، الخوارج من غلوهم أنهم يشهدون لأنفسهم بالجنة، أما مخالفوهم فيشهدون لهم بالنار بالمعاصي.

شوف التفاوت، وتزكية النفس، وغرورهم وصل بهم إلى يشهد لنفسه بالجنة، ويشهد لأمثال علي بن أبي طالب بالنار، ويرى أنه يجب قتله، ويتقرب إلى الله ﷻ بقتله.

ولذلك أهل السنة والجماعة ينصون على هذه المسألة: أن أهل السنة والجماعة لا يشهدون لأحدٍ لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة، لا يشهدون له بالجنة.

ولكن يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء، المحسن يرجون له، والمسيء يخافون عليه دون أن يقطعوا بالجنة لهذا، وبالنار لهذا.

وَقَوْلُهُ الْحَقُّ وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﵃ ورضوا عنه.

الشرح

الله ﷻ يخبر برضاه عنهم من حيث الجملة.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠] من علامة الإيمان عند من جاء بعد الصحابة أنهم يدعون لهم، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠].

ومن يجعل عقيدته بغضهم ولعنهم هذا يجب أن يراجع عقيدته، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله.

وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، لا يُستثنى من ذلك أحد.

ليس هناك أحد يقول: ﵃ كلهم إلا فلان!.

وهذه المسألة ليس عليها أي خلاف بين أهل السنة، من المسائل المجمع عليها بين أهل السنة والجماعة الترحم والترضي على جميع الصحابة.

نحن ذكرنا أن الصحابة هناك مسائل يشتركون فيها مع تفاوتهم فيما بينهم في الفضل.

مما يشتركون فيه: فضل الصحبة مع تفاوتهم فيه.

ومما يشتركون فيه: تعديل الله ﷻ من حيث الجملة، كلهم معدَّلون.

الصحابة عدول.

هذه قاعدة مشى عليها المحدثون: الصحابة كلهم عدول، لا يبحثون في عدالة الصحابة، ما دام صدر من فلان كذا وكذا فنحن نبحث في عدالتهم الآن، الصحابة كلهم بتعديل الله لهم.

فليس هناك أحدٌ مستثنى من هذه القاعدة، يترضى على الجميع إلا فلان، لا؛ والترحم والترضي على جميع أصحاب محمدٍ ﷺ.

وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

الشرح

ما شجر بين الصحابة، وما حصل من الخلاف بين الصحابة هو بالنسبة لنا مثل ما يكون بين الوالدين، الولد ينظر إلى خلاف الوالدين وقد يكون عالمًا بخطأ أحدهما، ولكنه لا يتدخل بأن يكون خصمًا، وأن يكون حكمًا بينهم، لا، حتى ولو أراد أن ينبه، ينبه بطريقةٍ فيها الأدب، وفيها الاحتياط فلا يدخل بينهم، وهكذا.

ما حصل بين الصحابة أولًا: حصل بينهم باجتهاد.

ثانيًا: لم يحصل بينهم خلافٌ في أصول الدين، ولكنه حصل بينهم خلافٌ في تنزيل النصوص.

الحديث الذي يستدل به هذا الفريق نفس الحديث الذي يستدل به هذا الفريق، لا أحد منهم يقول -مثلًا-: هذا الحديث لا يستدل به، لا، الجميع يستدلون، ولكن يختلفون في تنزيله وتطبيقه.

والخلاف الذي حصل بينهم لا يهمنا، لا يؤثر فينا أصلًا، إنما هذا خلاف حصل بينهم باجتهادٍ منهم فهم بين الأجر والأجرين، فلماذا ندخل نحن في أمرٍ لا يهمنا ولا يخصنا؟!

وثانيًا: إذا تعودنا وتجاسرنا وبدأنا نتجاسر في الدخول فيما شجر بين الصحابة هذا يجعل للشيطان مدخل، لأن نتنقص من فلان وعلان.

ومن يكون الخاسر؟

أنا الخاسر.

ذلك قد حطَّ رحاله في الجنة، وأنا أدخل في شيء لا ينفعني ولا يضرني، بل يضرني.

فلذلك منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب تعظيمًا لجانب الصحبة، وتعظيمًا لصحابة النبي ﷺ، وحفظًا لمكانتهم لا يدخلون في هذه الأمور.

هذا أصلٌ.

لا يأتينا أحد متحذلق في هذا الوقت بحجة أننا بحاجة إلى سرد التواريخ، ونحن بحاجة إلى تنقيح التاريخ بهذه الحجة يبرز لنا كل..، أبدًا، هذا أصلٌ من يخالفه ننظر إليه على أنه يخالفنا في أصلٍ

سواءً كان من أهل السنة، وسواءً كان من غيرهم، إلا إذا احتجنا أن خلافًا معينًا بين الصحابة أدى إلى اختلافهم في استنباط النصوص، استنباط الأحكام.

وهنا كما ذكر الأئمة الشافعي وغيرهم نتلمس من خلافهم، ومن خلال تنزيلهم لتطبيقهم للنصوص نتلمس من ذلك استنباط الأحكام، كما ذكر الإمام الشافعي في مسألة البغاة، وغير ذلك من المسائل.

إلا أننا كما قلت: لا ندخل فيما شجر بينهم ديانةً، واحتياطًا، وحفظًا أيضًا لمكانة الصحبة والصحابة.

ولكم أن تنظروا، وتعتبروا بمن دخل في هذا المجال حتى من أهل السنة.

سبحان الله تجد أقل شيء في فلتات لسانه تنقصًا من بعض الصحابة لا يخلو من ذلك، وهناك أصحاب مؤلفات ممن ينسب نفسه إلى السُّنة تجد في كلامه منكرًا عظيمًا في بعض الصحابة.

وكما قلت: هذا الباب خطير، ولا ينبغي لنا أن نُعرِّض ديننا وعقيدتنا بدخولنا في مثل هذه المتاهات.

والترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ والكف عما شجر بينهم.

وكما قلنا: **هذا أصلٌ**.

وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ .

الشرح

ثم ذكر الرازيان مسألة العلو، وصفة العلو من أظهر صفات الله ﷻ بعد إثبات وجوده.

أظهر صفةٍ يشترك فيها العالم والجاهل صفة العلو.

فالعامي دون أن يلقنه أحد يؤمن بهذه الصفة، يعتقد أن الله ﷻ عالٍ على عرشه يعتقد اعتقادًا جازمًا، ولا يشك في ذلك إلا من تلوث بهذه..

الآن تجدون بعض العوام يقول: الله ﷻ في كل مكان، هذا ليس من فطرته، هذا من بركة المتكلمين يعلمونهم هكذا، يقولون: إذا قلت: أن الله ﷻ عالٍ على عرشه، هذا يستلزم التجسيم والتشبيه، ويضخمون الأمر له؛ فالعامي يظن أنه سيقع في مهلكةٍ؛ مع أن هذا العامي لما يدعو يتجه إلى العلو.

يقول شيخ الإسلام: جاءني أحد المتكلمين وتعمدت عدم تلبيه مراده فكنت أريد أنظر إليه ماذا يفعل؟

هذه الفطرة، هذه الصفة اجتمعت فيها أدلة الكتاب والسُّنة مع الأدلة العقلية مع الدليل الفطري.

والأدلة في ذلك كثيرةٌ جدًّا، نستعرض بعض ما أشار إليه الإمام ابن القيم في «الكافية الشافية» وزع هذه الأدلة على أنواع، وكل نوع فيه أدلة، نشير إليها إن شاء الله.

أولًا: على هذه الطبعة دار الفوائد، في المجلد الثاني من (ص:٣٠٧ إلى ص: ٤٥٠) الأدلة من القرآن فقط.

من السنة من (ص: ٤٥٠ إلى ص: ٤٨٥).

الأدلة من الكتاب والسنة من (٣٠٧ إلى ٤٨٥)

نشير إلى بعض ما ذكره رَحِمَهُ اللهُ، قسَّمها إلى ٢٥ نوعًا يقول:

وَلَقَــــد آتنــــا عشــــر أَنْــــوَاع مـــن ... الْمَنْقُـــول فِـــي فوقيـــة الــــرَّحْمَن

كم صارت؟

مَــعَ مثلهَـــا أَيْضـــا تزيـــد بِوَاحِـــد هَـــا نَحـــن نســـردها بِـــلَا كتمـــان

عشر مع مثلها أيضًا تزيد بواحد، ٢١ نوع.

مِنْهَـــا اسْـــتِوَاء الـــرب فَـــوق الْعَـــرْش فِـــي ســـبعٍ أَتَـــت فِـــي مُحكـــم الْقُـــرْآن

أدلة الاستواء هذه كلها أدلة على علو الله ﷻ، والاستواء صفة فعلية، أما العلو فصفة ذاتية، هذا الفرق بينهم.

الاستواء صفة فعلية، والله ﷻ استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، ولكن أدلة الاستواء، ونصوص الاستواء كلها من أدلة العلو هذه النوع الأول أدلة الاستواء.

هَـــذَا وَثَانِيهـــا صَـــرِيح علـــوه وَلـــه بِحكـــم صَـــرِيحه لفظـــان

النوع الثاني: ذكر العلو بصريح اللفظ.

... وَلـــه بِحكـــم صَـــرِيحه لفظـــان

لفـــظ الْعلـــي وَلَفظـــه الأعلـــى مُعرفَـــةً أتـــت فيـــه لقصـــد بَيَـــان

العلي هذا من أسماء الله ﷻ، والأعلى أيضًا من أسماء الله ﷻ.

هذه بلفظ العلو، طبعًا كل نوع نفصِّل فيه.

هَـــذَا وَثَالِثهَـــا صَـــرِيح الفـــوق مصـــحوبًـــا بِمـــن وبـــدونها نَوْعَـــانِ

وهو: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

لماذا النوعان؟

من فوقهم نوع، فوقهم نوعٌ.

إِحْـــدَاهمَا هُـــوَ قَابـــل التَّأْوِيـــل وَالأصـــل الْحَقِيقَـــة وَحـــدهَا بِبَيَـــان

فَـــإِذا ادّعـــى تَأْوِيـــل ذَلِـــك مُـــدع لـــم تقبـــل الـــدَّعْوَى بِـــلَا برهَـــان

لكنمـــا الْمَجْـــرُور لَـــيْسَ بقابـــل التَّأْوِيـــل فِـــي لُغَـــةٍ وَعُـــرف لِسَـــان

من فوقهم هذا لا يقبل التأويل.

وق عباده يقول: هذه فوقية القهر والتدبير وفوقية المكان، هكذا يؤول.

العلو الذي يثبته أهل السنة والجماعة ثلاثة أنواع:

علو الذات: ونحن نتحدث عن علو الذات.

وعلو القهر: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

هذه الآية فيها نوعان من العلو: علو القهر وعلو الذات.

وعلو المكانة، وأهل البدع يثبتون النوعين الآخريين ولا يثبتون النوع الأول، فنحن الآن نتحدث عن علو الذات.

هَـــذَا وَرَابِعهَـــا عـــروج الـــرّوح وَال ... أَمْـــلَاك صـــاعدةً إِلَـــى الـــرَّحْمَن

الأملاك: يقصد الملائكة.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج:٤].

هذا النوع الرابع.

وَلَقَـــد أَتَـــى فِـــي ســـورتين كِلَاهُمَـــا ... اشـــتملا علـــى التَّقْـــدِير بالأزمـــان

فِـــي سُـــورَة فِيهَـــا المعـــارج قُـــدِّرت ... خمســـين ألفًـــا كَامِـــل الحســـبان

إلى آخر ما ذكر.

هـــذا وخامســـها صـــعود كلامنـــا ... بالطيبـــات إليـــه والإحســـان

وكـــذا صـــعود الباقيـــات الصـــالحات ... إليـــه مـــن أعمـــال ذي الإيمـــان

وكـــذا صـــعود تصـــدق مـــن طيـــب ... أيضـــا إليـــه عنـــد كـــل أوان

«**من تصدق بِعدْل تَمْرَة من كسب طيب، فلا يصعد إلى الله إلا الطّيب**»

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

ذكر أيضًا مع ما ورد في النصوص من الصعود أنواع.

ثم يقول في آخره:

وكــــذا دعــا المظلـــوم أيضًـــا صـــاعد   حقًّـــا إليـــه قـــاطع الأكـــوان
هَـــذَا وسادســـها وســـابعها النـــزول   كَـــذَلِك التَّنْزِيـــل لِلقُـــرْآنِ

سادسها: النزول، نزول الله ﷻ.

سابعها: التنزيل.

وَالله أخبرنَـــا بِـــأَن كِتَابـــه   تَنْزِيلـــه بِـــالْحَقِّ والبرهـــان

الله ﷻ نزَّله، أنزله إلينا.

أيكُـون تَنْـزِيلًا وَلَـيْسَ كَـلَام مـن   فَـوق الْعبـاد أذاك ذُو إِمْكَـان
أيكُـون تَنْـزِيلًا مـن الـرَّحْمَن والـرحمن   لَـيْسَ مبـاين الأكـوان
وَكَـذَا نـزُول الـرب جَلَالـه   فِـي النّصْـف مـن ليـل وَذَاكَ الثَّـانِي

بحسب اختلاف الروايات

فَيَقُـول لسـت بسـائل غَيْـرِي بـأحوال   الْعبـاد أَنـا الْعَظِـيم الشـان
مـن ذَاك يسـألني فيعطـي سـؤله   مـن ذَا يَتُـوب إِلَـيّ مـن عصـيان

إذن النزول، نزول الله ﷻ، وتنزيله للقرآن.

هَـذَا وثامنهـا بِسُـورَة غَـافِر   هُـوَ رفْعَـة الـدَّرَجَات للـرحمن
درجاتـه مَرْفُوعَـةٌ كمعـارج   أَيْضًـا لَـهُ وَكِلَاهُمَـا رفعـان
وفعيـل فِيهَـا لَـيْسَ معنـى فَاعِـلٍ   وسـياقها يأبـاه ذُو التِّبْيَـان
لَكِنَّهَـا مَرْفُوعَـةٌ درجاتـه   لكَمَـال رفعتـه علـى الأكـوان

الله ﷻ يقول: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج:٣].

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج:٤].

أيضًا في سورة غافر: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥]، هل معناه: رافع الدرجات أو هذا وصفٌ له سبحانه؟

يقول:

وفعيـــل فيهـــا لَـــيْسَ معنـــى فَاعـــلٍ ... وســـــياقها يأبـــــاه ذُو التِّبْيَـــــان

رفيع مثل السميع؛ أي: هذه صفة له، رفيع درجات

كما يقول:

لَكِنَّهَـــــا مَرْفُوعَـــــةٌ درجاتـــــه ... لكَمَـــــال رفعتـــه علـــى الأكـــوان

هَـــذَا هُـــوَ القَـــوْل الصَّـــحِيح فَـــلَا تحـــد ... عَنـــهُ وَخـــذ مَعْنَـــاهُ فِـــي الْقُـــرْآن

فنظيرهـــا المبـــدي لنـــا تَفْسِـــيرهَا ... فِـــي ذِي المعـــارج لَـــيْسَ يفترقـــان

إذن هذا نوع.

النوع الثاني:

هَـــذَا وتاســـعها النُّصُـــوص بِأَنَّـــهُ ... فَـــوق السَّـــمَاء وَذَا بِـــلَا حُســـبان

كثيرٌ، أنه فوق السماء.

فَاسْتَحْضِـــر الـــوحيين وَانْظُـــر ذَاك ... تَلقـــاهُ مُبينًـــا وَاضـــح التِّبْيَـــان

ولســـوف نـــذْكر بعـــض ذَلِـــك عَـــن قـــر ... يـــب كـــي تقـــوم شَـــوَاهِد الإيمـــان

واذا أتت في السماء، لأن بعض النصوص كما في حديث الجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء.

يقول: في بمعنى على.

يقول:

واذا أتتـــك فَـــلَا تكـــن مستوحشًـــا ... مِنْهَـــا وَلَا تَـــكُ عِنْـــدهَا بجبـــان

لَيســـت تـــدل علـــى انحصـــار إلهنـــا ... عقـــلًا وَلَا عرفًـــا وَلَا بِلِسَـــان

إِذْ أجمـــع السّـــلف الْكِـــرَام ... بِـــأَن مَعْنَاهَـــا كمعنـــى فَـــوق بالبرهـــان

أَوْ أن لفـــظ ســـمائه يُعْنـــى بِـــهِ ... نفـــس الْعُلُـــوّ الْمُطلـــق الحقـــان

﴿مَن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]: المراد بالسماء العلو.

إذا قلت: في بمعنى الظرفية؛ وإلا في بمعنى على.

إما معنى في السماء؛ أي: في العلو، والسماء معناها العلو، وليست هذه الأجرام المعروفة أو في بمعنى على، في السماء على هذه الأجرام المعروفة.

إذن لا يكون معناه: أن الله ﷻ منحصرٌ في هذه الأجرام؛ لأن المتكلمين يقول: في السماء، هذا فيه تحديد لله ﷻ!، وأنه محصورٌ بالمخلوقات، وأنه داخلٌ في مخلوقاته.

والرب فِيهِ وَلَيْسَ يحصره من الْمَخْلُوق شَيْء ذُو السُّلْطَان
كل الْجِهَات بأسرها عدمية من حقه هُوَ فَوْقَهَا بِبَيَان
هَذَا وعاشرها اخْتِصَاص الْبَعْض من أملاكه بالعند للرحمن

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] خصوا بأنهم عنده، غيرهم من المخلوقات ليست لهم هذه الصفة، هؤلاء الذين خصوا بالعندية.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩ ﴾ [الأنبياء:١٩].

يقول ابن كثير: يعني: الملائكة.

ويقول سبحانه: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت:٣٨].

وَكَذَا اخْتِصَاص كتاب رَحمته بعند الله فَوق الْعَرْش ذُو تبيان

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة، يقول ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». أخرجه البخاري ومسلم.

يقول:

لَو لم يكن سُبْحَانَهُ فَوق الورى كَانُوا جَمِيعًا عِنْد ذِي السُّلْطَان

كنا جميعًا عنده، لكن الله ﷻ خصَّ بعض من ذكرهم أنهم عنده.

وَيكون عِنْد الله إبليس وَجِبْرِيل هما فِي العند مستويان

هَذَا وحادي عَشْرَهُنْ

هذا مركب مبني على الفتح

هَـــذَا وحـــادي عَشْـــرَهُنْ إشـــارة نَحْـــو الْعُلُـــوّ بأصـــبع وبنـــان
لله جـــــلّ جَلَالـــــه لَا غَيـــره إِذْ ذَاك إشـــراكٌ مـــن الانســـان
وَلَقَـــد أَشَـــارَ رَسُـــوله فِـــي مجمـــع الْحَـــج الْعَظِـــيم بموقـــف الغفـــران
نَحْـــو السَّـــمَاء بأصـــبعٍ قـــد كُرِّمـــت مستشـــــهدًا للْوَاحِـــــد الـــــرَّحْمَن

«**اللهم فاشهد**»، أشار هكذا بأصبعه.

يَـــا رب فاشـــهد إننـــي بلغـــتهم وَيُشِـــير نحـــوهم لقصـــد بَيَـــان
فغـــدا البنـــان مُرفَّعًـــا ومصـــوبًا صـــلى عَلَيْـــك الله ذُو الغفـــران
أدّيـــت ثـــمَّ نصـــحت إِذْ بلغتنـــا حـــقَّ الْـــبَلَاغ الْوَاجِـــب الشـــكران

في هذا المجمع العظيم الذي لم يحصل إلا مرة في حياة النبي ﷺ، وفيه من فيه ممن أسلموا وإسلامهم قليل، وفيهم قدماء الصحابة، عندهم كلهم يشير النبي ﷺ بأصبعه هكذا: «**اللهم اشهد**» وهذا عند المتكلمين كفر، الإشارة تستلزم الجسمية؛ لأن كل ما يشار إليه فهو جسمٌ عندهم يختلفون في تعريف الجسم، ولكن يتفقون في أن كل ما يشار إليه فهو جسمٌ.

فلذلك قالوا: الروح، لا يشار إليها، وكل ما يشار إليه فجسمٌ؛ فإذا أشرنا إلى الله ﷻ نكون قد جسَّمنا.

ومن يكون إمامنا في هذه الجسمية؟

النبي ﷺ.

يقول: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نشْهد أَنَّك قد بلغت وَأديت وَنَصَحْت، فَقَالَ بِأُصْبُعِهِ السبابَة يرفعها الى السَّمَاء وينكُتُهَا إلى النَّاس -وعند أبي داود «ينكبها» بالباء الموحدة: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**» ثَلَاث مَرَّات. أخرجه مسلم وأبو داود.

هَـــذَا وَثَـــانِي عشـــرهَا وصـــف الظهـــور لَـــهُ كَمَـــا قـــد جَـــاءَ فِـــي الْقُـــرْآن
وَالظَّـــاهِر العـــالي الَّـــذِي مَـــا فَوْقـــه شَـــيْءٌ كَمَـــا قـــد قَـــالَ ذُو الْبُرْهَـــان
حَقًّـــا رَسُـــول الله ذَا تَفْسِـــيره وَلَقَـــد رَوَاهُ مُســـلمٌ بِضَـــمَان

فاقبلـــــه لَا تقبـــــل ســـــواهُ مـــــن التفاســـير الَّتِـــي قيلـــت بِـــلَا برهَـــان

وَالشَّـــيْء حِـــين يـــتم مِنْـــهُ علـــوه فظهـــوره فِـــي غَايَـــة التِّبْيَـــان

أَو مَـــا تـــرى هـــذي الســـما وعلوهـــا وظهورهـــا وَكَـــذَلِكَ القمـــران

في حديث أبي صالح يقول: كان يأمرنا إذا أراد أحدٌ أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» أما إذا كان كما يقولون: في كل مكانٍ أو معنا، لا يكون فوق كل شيء.

«وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» أخرجه الإمام مسلم.

هَـــذَا وثالـــث عشـــرهَا اخبـــاره أنـــا نـــرَاهُ بجنـــة الْحَيَـــوَان

فسـل الْمُعَطِّـل هَـل يـرى مـن تحتنـا أم عَـن شَـمَائِلنَا وَعَـن أَيْمَـان

الله ﷻ سيراه المؤمنين حقًّا، ونسأل الله أن نكون منهم، نسأل الله بأسمائه وصفاته أن ينعم علينا بهذه النعمة العظيمة التي هي أعظم نعمةٍ في الجنة؛ رؤية رب العالمين.

يقول: سل المُعطِّل، المؤمنون سيرونه.

أم خلفنـــا وأمامنـــا سُـــبْحَانَهُ أم هَـــل يـــرى مـــن فَوْقنَـــا بِبَيَـــان

يَـا قـوم مَـا فِـي الأمـر شَـيْء غيـر ذَا أَو أَن رُؤْيَتَـــه بِـــلَا إِمْكَـــان

الذي ذكره في الأخير إما أن الرؤية غير ممكنة، وإما أن يراها المؤمنون فوقهم.

المتكلمون يقولون: أن الله ﷻ يرى لا في مكان.

يقول ابن القيم:

إِذْ رُؤْيَـــة لَا فِـــي مُقَابلَـــة مـــن الرَّائِـــي محَـــال لَـــيْسَ فِـــي الإمكـــان

وَمـــن ادّعـــى شَـــيْئًا ســـوى ذَا كَـــانَ دَعْـــوَاهُ مُكَـــابَرَة علـــى الأذهـــان

المؤمنون يرونه فوقهم.

وكلامه لو ودك تقرأها كلها، لابن القيم.

هَـــــذَا ورابـــــع عشــــرهَا إقْـــرَار ... ســـــائله بِلَفْـــــظ الأيـــــن للـــــرحمن
وَلَقَـــــد رَوَاهُ أَبُـــــو رزيـــــن بَعْـــــدَمَا ... سَـــــأَلَ الرَّسُـــــول بِلَفْظِـــــهِ بـــــوزان
وَرَوَاهُ تبليغًـــــا لَـــــهُ ومقـــــررًا ... لمـــــا أقـــــرَّ بـــــه بِـــــلَا نكـــــران
هَـــذَا وَمَـــا كَـــانَ الْجَـــواب جَـــوَاب مـــن ... لَكِـــن جَـــوَاب اللَّفْـــظ بـــالميزان
كـــلا وَلَـــيْسَ لمـــن دُخُـــول قـــطّ ... فِـــي هَـــذَا السِّـــيَاق لمـــن لَـــهُ أذنـــان
دع ذَا فقـــد قَـــالَ الرَّسُـــول بِنَفسِـــهِ ... أَيْـــن الالـــه لعـــالم بِلِسَـــان
وَالله مَـــا قصـــد الْمُخَاطـــب غيـــر مَعْنَاهَـــا ... الَّـــذِي وضـــعت لَـــهُ الحقـــان

طبعًا أين؟، النبي ﷺ يسأل الجارية «أين الله؟»، وهي تجيبه: في السماء.

المتكلمون لهم في حديث الجارية غلطٌ طويل وعريض، بعضهم يقولون: المراد بالأينية هنا، أينية القدر والمكان.

طبعًا هذا قول: «أين الله؟» أي: أين موضعه من قبلك؟ تحترمينه أو لا تحترمينه؟

وغالبهم يقول: أن الجارية كانت خرساء، مع أن في رواية صحيح مسلم قالت.

الخرساء تقول؟!

ما صارت خرساء.

هناك رواية أخرى رواها أبو داود وغيره، ورواية أخرى رواها الإمام أحمد أن جاريةً خرساء، لعلها قصة أخرى.

أما هذه الرواية؛ رواية معاوية بن الحكم السلمي فيها قالت: في السماء.

هَـــذَا وخـــامس عشـــرهَا الْإِجْمَـــاع مـــن ... رســـــل الْإِلَـــــه الْوَاحِـــــد المنـــــان
فالمرســـلون جَمِـــيعهم مَـــعَ كتـــبهمْ ... قـــــد صَـــــرَّحُوا بـــــالفوق للـــــرحمن

إجماع الأنبياء والرسل؛ ألا يستحق أن يكون دليلًا واحدًا أو نوعًا من الأدلة؟

كلهم أجمعوا على هذا.

وَحكـــى لنـــا إِجْمَـــاعهم شـــيخ الـــورى ... وَالـــــدّين عبـــــد الْقَـــــادِر الجـــــيلاني

الحنبلي المعروف، الذي يؤلهه كثيرٌ من الناس، وهو من أئمة الحنابلة.

الإمام الموفق لما ذهب إلى بغداد أول ما ذهب إليه عبد القاهر.

وَأَبُو الْوَلِيد الْمَالِكِي أَيْضًا حكى ... إِجْمَاعهم أَعنِي ابْن رشد الثَّانِي

وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاس أَيْضًا قد حكى ... إِجْمَاعهم علم الْهدى الْحَرَّانِي

المهم: هذا نوع إجماع الرسل كلهم، وجميع الكتب المنزلة فيها إخبار أن الله ﷻ له العلو، وأنه بائنٌ من خلقه، وأنه فوق مخلوقاته.

فالدين فِي التَّوْحِيد دينٌ وَاحِدٌ ... لم يخْتَلف مِنْهُم عَلَيْهِ اثنان

أطال فيه.

هَذَا وسادس عشرهَا إِجْمَاع ... أهل الْعلم أَعنِي حجَّة الْأَزْمَان

مثلما حكاه الرازيان؛ إجماع العلماء كلهم من لدن الصحابة ﭫ إلى الآن، كلهم مجمعون على علو الله ﷻ، باستثناء من خرج عن السنة والتحق بأهل البدع، أما البقية فكلهم مجمعون.

يقول:

من كل صَاحب سنة شهِدت لَهُ ... أهل الحَدِيث وعسكر الْقُرْآن

لَا عِبْرَة بمخالفٍ لَهُم وَلَو ... كَانُوا عديد الشَّاء والبعران

حتى ولو كانوا كثيرين أكثر من الشياه، فيقول: لا عبرة بهم.

أجمعوا على ماذا؟

إن الَّذِي فَوق السَّمَوَات العلى ... وَالْعَرش وَهُوَ مباين الأكوان

هُوَ رَبنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... حَقًّا على الْعَرْش استو الرَّحْمَن

فاسمع إِذًا أَقْوَالهم واشهد ... عَلَيْهِم بعْدهَا بالْكفْر وَالْإِيمَان

إذا كنت ترى أن من يثبت العلو كافر فكفرهم كلهم.

وذكر هنا من حكى الإجماع.

على كل حال: هذا نموذج ولكم أن تكملون النونية.

وأن الله ﷻ على عرشه بائنٌ من خلقه.

هذه اللفظة: أنه بائنٌ من خلقه، وأنه عالٍ على عرشه بذاته.

هذه من الألفاظ التي يذكرها أهل السنة لتحقيق العلو، ولتحقيق المباينة، وتفسيرًا للنصوص.

وأهل البدع الذي ينتقدون أهل السنة والجماعة في قولهم: أننا نتقيد بالكتاب والسنة في وصف الله ﷻ، وفي إثبات أسمائه يذكرون هذا اللفظ.

أين في الكتاب والسنة أنه بائنٌ من خلقه؟

بائنٌ من خلقه هذا فيه تفسير النصوص، ما دام أن الله ﷻ من البداية هناك خالق ومخلوق.

إذن هو بائنٌ من خلقه، أيش يكون؟ مختلطٌ بخلقه؟

عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ.

الشرح

أهل السنة والجماعة لم يقولوا هذا إلا بعد نشأت فرق المبتدعة الذين يرون أن الله ﷻ ليس له العلو الذاتي.

فحتى يبينوا أننا نثبت أنواع العلو الثالثة: العلو الذاتي، والقهري، والمكاني، علو المكانة.

قالوا: عالٍ على عرشه بذاته، وكلمة بذاته لم تأت بجديد، إلا أن فيها تفسيرًا للنصوص.

بائنٌ من خلقه لم تأت بجديد، متى كان اعتراضهم صحيحًا لو كان فيها جديد، ونحن نَصِف الله ﷻ بهذا الجديد، فيها جديد؟

والألفاظ المجملة التي لم تأت في الكتاب والسنة موقف أهل السنة منها أن التوقف في اللفظ والاستفسار في المعنى.

ولكن هذه الألفاظ التي فيها تفسيرٌ للنصوص، وتأكيدٌ للمعانيها ليست من الألفاظ المجملة التي ذكرت لكم قاعدة أهل السنة فيها.

قاعدة أهل السنة في الألفاظ المجملة التي لم تأت في الكتاب والسنة، وتوهم حقًّا وباطلًا: أنهم يتوقفون في اللفظ، ويستفصلون في المعنى.

مثلًا: الجسمية؛ شخص يثبت الجسمية لله ﷻ، نقول له: ماذا تقصد بالجسمية؟

فيقول -مثلًا-: أن الله ﷻ موجود، لأن كل موجودٍ جسم، ما دام أنه موجود فهو جسم.

نقول له: أخطأت في اللفظ وأحسنت في المعنى، هو موجود نعم، لكن ليس كل موجودٍ جسمًا.

شخص يقول: هو جسم، بعد الاستفسار قال: معنى الجسم أنه جسم كالإنسان.

نقول له: أخطأت في اللفظ والمعنى، ولكن على المعنى الأول؛ الجسم بمعنى الموجود: هل نستخدمه؟ لا نستخدمه حتى على المعنى الصحيح.

طيب: لو كان الجسم بمعنى الموجود، تستخدمه؟

أقول: لا أستخدمه.

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة، لأن هذا اللفظ يوهم الحق والباطل، فالتوقف في اللفظ، الألفاظ هذه لا نستخدمها حتى ولو على المعنى الصحيح، ومُطْلِق هذه الألفاظ نستفصله نقول له: ماذا تريد بهذا أو بذاك؟

وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ .

الشرح

أما المخالفون في هذه المسألة (العلو) فهم أصناف:

أشهرهم: من يقول: أن الله ﷻ في كل مكان.

ومن يقول: أن الله ﷻ ليس في أي مكان، لا داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا، ولا، ولا.

ومن يقولون: بالاتحاد والحلول.

المتكلمون أوائلهم كانوا يقولون: أنه في كل مكان. هذا مذهبهم، مذهب المتكلمين الأوائل أنهم كانوا يقولون: هو في كل مكانٍ، ولكن المتأخرون وخاصة بعد تأثرهم بالفلسفة، يقولون: أن الله ﷻ لا داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق، ولا تحت ولا يمين، ولا يسار، ولا محايث ولا مباين، لا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا محايث مختلط بالعالم، ولا خارجه، ولا مباينه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يسار.

هذا مذهب الأشاعرة الآن، الموقف الرسمي للأشاعرة هذا، أما أوائلهم كانوا يقولون: أن الله ﷻ في كل مكان، لماذا؟ تنزيهًا له عن وصفه بالعلو، وهذا يستلزم الجسمية، سبحان الله.

وصفه بأنه في كل مكان، وما نزهتم الله من أي مكانٍ حتى...؛ هل هذا هو التنزيه؟

أولًا: التنزيه لا يكون إلا فيما جاء في الكتاب والسنة؛ هذا الأصل.

لا ننظر إلى الكتاب والسنة بمنظارٍ نسميه التنزيه، النص الذي نرى فيه التنزيه نثبته، والنص الذي ليس فيه التنزيه لا نثبته، هذه قاعدة شيطانية.

ومن أبرز القواعد التي تسببت للانحراف في هذا الباب، هذا المبتدع الذي انشغل بالفلسفة وكذا، جاء بهذه المناظرة، وينظر في النصوص من هذا الباب، ما هو النص الذي فيه تنزيه فأثبته؟ وما هو النص الذي ليس في التنزيه فلا أثبته؟

الأشاعرة مثلًا لما أثبتوا بعض الصفات قالوا: هذه الصفات لا تخالف التنزيه.

بقية الصفات التي عطلوها قالوا: هذه تخالف التنزيه.

لماذا؟

إذا وصفنا الله ﷻ مثلًا بالعلو هذا يستلزم التشبيه، والتشبيه يضاد التنزيه؛ إذن القضية عنده قضية تنزيه، ينزه الله ﷻ بهذا الشكل، ينزهه بالرد عليه؛ سواءً قصد هذا أو لم يقصد.

هم قالوا: بما أن الله ﷻ يجب أن ننزهه، فلذلك نقول: أنه في كل مكان، لأننا إذا قلنا: هو في العلو هذا يستلزم التجسيم والتشبيه.

ومتأخروهم خاصةً بعد الرازي تأثروا بالفلسفة؛ فصاروا يعتمدون هذا المذهب أنه ليس داخلًا للعالم، وليس خارجًا للعالم، ولا مباين له، ولا محايث له، ولا يمين هذا مذهب الأشاعرة.

وأئمة الأشاعرة، الأشعري نفسه، هذا ليس إمامًا للأشاعرة، ولكن نذكره للتفصيل: الأشعري نفسه يثبت العلو، وتلاميذه كانوا يثبتون العلو، بل تلاميذ تلاميذهم: الباقلاني مثلًا هو تلميذ تلاميذهم أيضًا يثبتون العلو، بعدها بدأ نفي العلو من عند الجويني.

إذن أئمة الأشاعرة بما فيهم الأشعري، وتلاميذه، وتلاميذ تلاميذه يثبتون العلو.

ولذلك شيخ الإسلام دائمًا يحاجهم بذكر أقوال أئمتهم؛ وهكذا فعل تلميذه ابن القيم هنا لما سرد الأسماء.

وهذه المسألة لا يخالف فيها أوائل الأشاعرة، أوائل الكلابية، أئمة الكلابية: الحارث المحاسبي، وابن كلاب لا يخالفون في هذه المسألة.

الخلاف في مسألة العلو يبدأ عند الجويني، وبعد الجويني صارت المسألة عندهم مجمع عليها؛ كلهم، ما وجدت من المتأخرين من المنتسبين إلى المذهب الأشعري من يخالفهم في هذه المسألة.

المذهب الثالث: هو مذهب المتصوفة الذين يقولون: بالحلول أو الاتحاد.

ولذلك تجد النصوص التي نقلها شيخ الإسلام في الحموية عن بعض من انتسب إلى التصوف، تجده يركز على هذه المسألة: بائنٌ من خلقه؛ لأن انحرافه هنا.

الله ﷻ حالٌّ في بعض مخلوقاته أو متحدٌ بها.

كل المخلوقات مظاهر لله ﷻ عندهم، أو حالٌّ فيها.

في أي مخلوق؟ في جميع المخلوقات.

هذه أشهر مذاهب المخالفين.

القول: بأنه في أي مكان.

والقول: بأنه ليس في أي مكان.

والقول: أنه في كل مكان، والقول أنه ليس في أي مكان؛ في كل مكان وليس في أي مكان؛ لا إله إلا الله؛ هذا كله فرارًا مما أثبته الله ﷻ لنفسه، وأثبته له رسوله، هنا لا، لا.

إما هناك وإما هنا، وإياك أن تقترب من النصوص، لا لا، هذا هو الوحيد الذي يبعدك عن التنزيه.

طيب: لم تنفيه وتبالغ في النفي، هذا تنزيه؟ هكذا يكون التنزيه؟

يعني: ما تستحي تقول: ليس، ليس، ليس، إذن ما الذي تثبته؟ أنت في هذا كله في تنزيه الله ﷻ؛ ما تُفكر، وما الذي أثبته؟!

مع هذا لا يمكن أن تُثبت شيء!، هذا كله هيِّن يُتحمل في سبيل التنزيه!، وفي سبيل الابتعاد عن هذا المجسم الذي هو عندهم مصيبة المصائب.

وكما قلنا: صفة العلو أظهر صفةٍ بعد إثبات وجود الله ﷻ، وهذه الصفة أجمع عليها المسلمون عمومًا بعلمائهم، بعواهم، بفقهائهم، بطوائفهم، ولا يخرج عنها إلا من قد لُقِّن بتركيز أن هذا يستلزم كذا، وهذا يستلزم كذا، وهذه عقيدة المسلمين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

بعد أن ذكر الرازيان -رحمهما الله ﷻ- مسألة العلو، ومسألة استواء الله ﷻ على عرشه، وأن الله ﷻ بائنٌ من خلقه، عالٍ على عرشه.

بعده ذكر أن الله ﷻ: أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

هنا ذكرا شمول علمه سبحانه، وإحاطته بالمخلوقات علمًا، وذكرهما لهذه المسألة بعد العلو؛ لبيان أنه لا منافاة بين إثبات العلو الذاتي، وبين إثبات عموم علمه، وبين إثبات إحاطته علمًا، وبين معيته.

أن المعية والعلو جَمْعُهُما أشكل عند كثيرٍ من أهل البدع، فنفوا العلو ظنًّا منهم أن العلو يستلزم عدم المعية.

وإن أثبتوا المعية نفوا العلو؛ قالوا: إن أثبتنا العلو سننفي المعية.

ولذلك عادةً العلماء يذكرون هاتين المسألتين مختلفتين.

وأن الله ﷻ عالٍ على خلقه، وأنت لا تقيس الله ﷻ بالمخلوقات الذين إذا ابتعدوا لم يعلموا شيئًا عما ابتعدوا.

الله ﷻ علمه محيطٌ بكل شيء؛ معناه: أنه عالٍ على عرشه.

وأن المعية التي نثبتها مع إثبات علوه لا تستلزم الحلول كما ذهب إليه المتصوفة، هذا مذهب الجهمية أيضًا.

ولا تستلزم المخالطة كما يقوله المتكلمون عمومًا فيقولون: لأجل ذلك لا نثبت المعية، لأنها تستلزم المخالطة.

ونحن نقول: المعية لا تستلزم المخالطة، قد تكون فيها مخالطة، وقد لا تكون فيها مخالطة.

فنقول أيضًا: المعية لا تستلزم الحلول كما ظنه المتصوفة والجهمية.

والمعية؛ معية كل شيءٍ بحسبه، فيقال مثلًا: الأمير مع رعيته، مع أن بعضهم لم يره قطعًا، وهو بعيدٌ من بعضهم، وقريبٌ من بعضهم، ويقال مثلًا.

وفي قول الله ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح:٢٩] ، الذين معه بماذا؟ بالنصرة والتأييد، وبالإيمان والتصديق به.

وهكذا معية كل شيءٍ بحسبه، يقولون: لازلنا نسير والقمر معنا، وبيننا وبين القمر ما لا يخفى من المسافة.

بعد هذه المسألة ذكر الله ﷻ مسألة الرؤية، رؤية الله ﷻ.

رؤية المؤمنين لله ﷻ يوم القيامة، هذه المسألة بما أنها من أوائل المسائل التي أنكرها الجهمية، ومن المسائل التي ينكرها أكثر المتكلمين.

في الحقيقة الرؤية التي ذكرها الرازيان هنا، هذه الرؤية ينكرها حتى المتكلمون الذين نرى في ظاهر كلامهم أنه يثبتون الرؤية كانوا كلابية، ومن اتبعهم من الماتريدية والأشاعرة.

لا يثبتون جمهورهم هذه الرؤية التي ذكرها الرازيان:

وَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ.

الشرح

ما معنى الرؤية؟

معنى الرؤية لو اقتصرنا على هذه الجملة، يدَّعي حتى المعتزلة أننا معه.

نحن نقول: أنه يُرى الآن، ولكن المعنى: زيادة العلم، لأن الرؤية ما فادتها؟

لو ازداد علمك ويقينك بالشيء وكَمُل علمك به، ما تحتاج إلى الرؤية.

لماذا أنظر وأرى؟

حتى يزداد علمي ويقيني.

فيرى في الآخرة؛ أي: يزداد يقينه في الآخرة، هكذا يكون هؤلاء المبتدعة.

ولذلك لم يقتصر على هذه الجملة.

يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ.

الشرح

الرؤية التي يُثبتها ونُثبتها الرؤية البصرية، ولذلك دائمًا يقيدون الرؤية بالبصر، وهذا الموجود أيضًا في كتب أوائل المتكلمين.

أوائل المتكلمين من الكُلابية، وأوائل الأشاعرة الذين يثبتون العلو، وأوائل الماتريدية يذكرون الرؤية.

الأشاعرة عمومًا الماتريدية يثبتون الرؤية، والذي حصل معهم أن أوائلهم يذكرون الرؤية مقيدةً بأنها رؤية بصرية.

إذن لا يكون هناك خلاف بينهم وبين أهل السنة، باستثناء ما يذكرونه خاصةً مع من ينكر العلو منهم أن الرؤية هذه بلا جهةٌ، بصريةٌ، ولكنها بلا جهات، ولكن المتأخرون منهم يذكرون الرؤية، ولكن لا يقيدونها بالبصرية.

ولهذا فأنت لما تلاحظ التدرج في كتبهم؛ ستجد أن ذكر قيد الرؤية بأنها رؤية بصرية هذا سيكتفي عند المتكلمين والمتأخرين ويذكرون الرؤية.

ومتأخروهم وافقوا المعتزلة بأن الرؤية معناها: زيادة العلم، وبذلك رجعوا إلى مذهب المعتزلة.

فلا تغتر بما يذكرونه في كتبهم أنهم يثبتون الرؤية، أي الرؤية؟

هي تلك الرؤية التي أثبتها المعتزلة، يثبتون نفس الرؤية؛ وهي ليست رؤية، وهي علم.

يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ هنا ذكر مسألتين:

المسألة الأولى:

أن الرؤية هذه لأهل الجنة؛ وهذه المسألة مختلفٌ فيها بين أهل السنة.

هل يراه غير أهل الجنة في العرصات؟

طبعًا غير أهل الجنة لن يدخلوا الجنة.

المسألة اختلف فيها في عرصات القيامة، لأن هناك أحاديث يؤخذ منها أنه يراه المؤمنون ويراه المنافقون، بالنسبة للمنافقين الأحاديث الصحيحة ذكرها كثيرٌ ممن استقصى طرق هذه ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد.

وهل يراه أيضًا الكافرون؟

بعض أهل السنة يرى أن الكافرين أيضًا يرون الله عَزَّ وَجَلَّ، وهناك بعض الأحاديث يؤخذ منها.

ولكن الصحيح الراجح أن الكافرين لا يرون الله عَزَّ وَجَلَّ.

ذكر ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد أن رؤية الكفار لله عَزَّ وَجَلَّ هذه ليست رؤية تلذذ وسرور ونعيم، هذه رؤية حسرة؛ لأنه إذا رأى الله وحُجب وحُرم من هذه النعمة فيزيد عذابه بهذا.

الجميع متفقون على أن رؤيته ليست رؤية النعمة، التنعم والتلذذ، بل هي رؤية حسرة وعذاب.

عمومًا نحن لما نتحدث عن مسألة الرؤية فنحن نتحدث عن رؤية المؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ، وتبقى مسألة المنافقين ومسألة الكفار.

يقول شيخ الإسلام: ليس لأحدٍ أن يُريد بالرؤية لما تُذكر هكذا مطلقةً أنها رؤية الكفار أو رؤية المنافقين؛ لأن هذه الرؤية هي -كما سنذكر في الأدلة- أعظم نعمةٍ يُنْعَمُ بها على المؤمنين، فلا تحصل لغير المؤمنين.

إذن أولًا: يراه أهل الجنة هنا حسموا موقفهم، وأن غيرهم لا يرونه...

بِأَبْصَارِهِمْ هذا تقييدٌ للرؤية، وتفصيلٌ لها.

وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

الشرح

كيف أنهم يسمعون كلامه؟ كيف أن هذا العبد الضعيف يستطيع أن يسمع كلام الله ﷻ؟

يقول: كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

الله ﷻ يقدرهم على ذلك، الله ﷻ يخلق فيهم تلك القوة التي بها يسمعون كلامه، وينظرون إليه عيانًا.

والأدلة على الرؤية كثيرة جدًّا قوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢)﴾ [القيامة:٢٢] من النضرة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة:٢٣] من النظر.

﴿نَاضِرَةٌ﴾ أي: حسنة، بهية، جميلة.

إذن هناك النعمة حصلت لهم، هذه النعمة بسببها صارت وجوههم بهية وحسنة وجميلة.

هذا المعنى يدل على أن ما يذكره المتكلمون من أن الناظرة من الانتظار هذا لا يستقيم، إذا كنت تنتظر شيئًا وتكون محتفزًا في انتظاره لا تحصل هذه النعمة؛ حصول هذه النعمة، وحصول هذه العلامة لوجودهم هذا يدل على أن هناك نعمةً تسببت في هذا.

وهذا واضح أن هذه النعمة هي رؤية رب العالمين، أسأل الله أن يكتبها لنا جميعًا هذه الرؤية.

وأيضًا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾، وجوهٌ وهي محل الرؤية، الوجه محل البصر، عُدي به بـ(إلى)؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ ، عُدي بـ (إلى)، وهذا نصٌ في الرؤية البصرية، لأن النظر يختلف معناه باختلاف الصلات.

مثلًا: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، ما معناه؟

تفكروا، والتفكر يكون أحيانًا مجموعًا بالبصر؛ بأن تفتكر في شيءٍ تراه أمامك، وأحيانًا يكون في شيءٍ لا تراه أمامك، تتفكر.

﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فالنظر إذا عُدى بـ (إلى) هذا يكون معناه: البصر، الرؤية البصرية.

والأدلة على الرؤية كثيرة جدًّا منها:

قوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦].

ورد تفسيره في الحديث الصحيح أن «**الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي الرؤية**» هذا ورد في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم.

وهذا الذي ذكره كثيرٌ من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ.

أيضًا من الأدلة: قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين:١٥]؛ فإذا كانوا محجوبين عن رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ عذابًا ونكالًا لهم فغيرهم على عكس هذا، وهو أنهم سيرون الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذا كان حجب الرؤية هذا عذاب، فرؤية الله عَزَّ وَجَلَّ هذا نعيم.

هذا أيضًا من الأدلة التي تدل على إثبات الرؤية للمؤمنين.

أيضًا عمومًا الأدلة التي تدل على اللقاء ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ [الأحزاب:٤٤].

وجميع الأدلة من الأحاديث والآيات التي فيها اللقاء ذهبت جمهور أهل العلم على أنها تدل على الرؤية، وأن اللقاء يستلزم الرؤية، وهناك من ينكر هذه النظرة مثل ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوحيد؛ حيث يقول: أن اللقاء لا يستلزم الرؤية، قد يكون هناك لقاء بدون رؤية، وكلامه طويل.

وهناك من أهل اللغة من حكى الإجماع على هذا، وأن اللقاء لا يطلق إلا إذا كان فيه الرؤية.

وعمومًا هذه النصوص التي تدل على اللقاء أيضًا من أدلة الرؤية.

أيضًا قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هذه الآية فيها دليلان:

الدليل الأول: سؤال موسى عليه السلام لو كان مستحيلًا ما كان يسأله، وموسى عليه السلام أعرف بربه، وأعلم به، وأعلم بما يستحيل طلبه منه، هذا أولًا.

وأيضًا الله ﷻ لم يوبخه على السؤال مثل ما وبخ نوحًا مثلًا في سؤاله عن ابنه وغير ذلك، السؤال يدل على أن الرؤية ممكنة.

ثانيًا: لما قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾، علقه بشيءٍ ممكن، ولكنه ليس ممكنًا الآن في الدنيا، علقه بشيءٍ ممكنٌ هو استقرار هذا الجبل في مكانه، فهذا شيء ممكن.

الله ﷻ له القدرة الكاملة على أن يجعله مستقرًا فيراه.

منتهى الأمر أن هذا لا يمكن في الدنيا، إذن هذا أيضًا يدل على ثبوت الرؤية، وليس على نفي الرؤية.

أيضًا من الأدلة قوله سبحانه: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، لأن الإدراك هو رؤية مع الإحاطة، والإدراك ليس مجرد الرؤية.

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾، الأبصار لا تدركه؛ إذن أثبت ما دونه وهو الرؤية، فهذه الآية يذكرها المتكلمون من الأدلة على نفي الرؤية، وهذا غير صحيح، لأن الإدراك شيءٌ أكثر من الرؤية المجردة.

نحن نرى الشمس، ولكن ندركها، نحن نظنها كرةً صغيرة.

وهكذا؛ الإدراك يزيد على الرؤية بالإحاطة.

والأحاديث من السنة كثيرة جدًّا، وذكر العلماء أن الأحاديث في الرؤية متواترة، ولما يذكرون أمثلة للمتواتر يذكرون أحاديث الرؤية مع ذلك المعتزلة وغيرهم لا يسلمون أن أحاديث الرؤية متواترة.

بل لا يسلمون أن هناك أحاديث متواترةٌ أصلًا؛ المعتزلة الذين اخترعوا هذا التقسيم وأن الأحاديث من حيث وصلوها إلينا تنقسم إلى قسمين: متواتر وآحاد؛ هم أصحاب هذه الفكرة بعد ما اخترعوا هذا التقسيم لا يسلمون أن هناك حديثٌ متواتر.

جميع الأحاديث عندهم آحاد؛ حتى يسهل لهم الحكم عليها بأنها ظنية.

ونحن نقول: هذا التقسيم طبعًا ليس من المحدثين، هذا التقسيم منه، مع ذلك نقول: أن الأحاديث المتواترة حسب شروطكم، منها: أحاديث الرؤية، وأحاديث كثيرة متواترة، وإن كنتم تصرون على الشروط التي تذكرونها للمتواتر، فنحن نقول: لا كرامة لهذا التقسيم أصلًا، يهمنا حصول العلم، والعلم حاصلٌ للمحدثين وغيرهم بهذه الأحاديث وغيرها.

إذن هي متواترة بمعنى: حصول العلم بها.

ما معنى المتواتر؟

التواتر أُخذ من التتابع، وهذا يدل على كثرة العدد، وكثرة العدد من الأسباب التي تزيد في العلم.

وبما أن هذا هو الغالب لذلك سمي المتواتر متواترًا، وهذا لا ينبغي أن يكون قيدًا في التعريف.

يحصل العلم بكثرة العدد، ويحصل العلم أيضًا بصفات المتحدد قد يكون واحدًا، ويحصل لك العلم، وقد يكون العدد مليون، ولا يحصل لك العلم، أليس كذلك؟

ولكن الغالب إذا كَثر العدد يحصل العلم.

وهكذا يتلاعبون بمثل هذه النظريات التي أقحموها وأشغلونا بها.

الآن الخلاف بين أهل السنة من يقول مثلًا عادةً: التقسيم ليس من أهل السنة يُستنكر عليه، كيف تقول؟ وابن حجر يذكره، وابن صلاح يذكره، وفلان يذكره، نقول له: هذا التقسيم أضر بالسنة ضررًا قد لا نجده لأي تقسيمٍ آخر.

أنت لما تقول: السنة تنقسم إلى قسمين: متواتر؛ وهو الذي يفيد العلم، والآحاد وهي التي لا تفيد العلم.

هنا حصرت العلم بالمتواتر، ما هي شروط المتواتر؟

يذكرون فيها شروطًا حتى قد لا تكون متوفرة حتى في القرآن.

من شروطها مثلًا: أن يحصل العلم للجاهل والعالم، يستوي فيها الجاهل على شرط، يستوي في العلم في المتواتر الجاهل والعالم.

شرط آخر: أن يكون هذا العلم بدني وليس نظري.

أنت الآن اقرأ آيةً في القرآن، اقرأها لأي عامي، واقرأ حديثًا قد يلتبس عليه، وتقول له: هذا كلام الله ﷻ، مجرد استدلال يكون العلم نظريًا ولا يبقى بديهيًا.

إذن هذا الشرط قد لا ينطبق حتى على القرآن.

ولذلك نقول: أي نظرية جاءت من المتكلمين لابد أن يكون الموقف منها من أصله، ماذا قُصد بهذه النظرية؟ أصحابها ماذا قصدوا بها حتى نعرف؟

المحدثون هل كانوا يعجزهم أن يأتوا بهذا التقسيم؟

إلى أن ابن الصلاح، ابن الصلاح هو في القرن السابع يذكر أن هذا التقسيم ليس من المحدثين، وجاء بعده إلى القرن السابع ليس هذا التقسيم من صميم ما يذكره المحدثون؛ إذن التقسيم فيه إشكال؛ نحن لا نأخذه هكذا، لماذا؟

بعدها سيشغلوننا أحاديث الرؤية متواترة أو لا؟

عندنا متواترة لا نشك في هذا، عندهم غير متواترة، لأن هذه الشروط غير متوافرة فيه.

نقول له: هذا الشرط وما قبله من التعريفات، وما قبله من التأصيل كله لا كرامة له، لأنه ليس له أي أثرٍ في علم الحديث، المحدثون يبحثون عن الثقة، وعن الصفات التي يثبت بها صدقه، العدد من حيث العدد ليس من شروطهم، كما أشار إليه ابن الصلاح رحمه الله.

إذن إذا حصل العلم واليقين للمحدث ونحن تبعٌ له، البخاري إذا قال: هذا الحديث صحيح، نحن معه.

لماذا نحن معه، ليس تقليدًا، هو في كل راوٍ ذكر لك الصفات، ألف لك كتاب «التاريخ الكبير»، وذكر كل راوٍ هناك ومثلًا شيخه الحميدي من هو؟ من نسبه وشيوخه، تلاميذه، صفاته؟ من الذي أثنى عليه؟ ومن الذي جرحه؟

كل هذه التفاصيل وضعها بين يديك.

فأنت حتى ولو خالفت البخاري تخالفه بدليل مثلًا.

بعد أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة كلامهما جُمع في كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم، تنظر فيه وهما نوعًا ما متأخرين من المحدثين؛ ذكروا أيضًا أقوال أخرى للمحدثين عن الحميدي مثلًا؛ فقد تكون هناك أقوال تخالف هذا، وأن أنتم بين..، أليس كذلك؟

أما أن تجلس تُعدد كم هنا؟ وكم هنا؟ هذا ليس..

إذا كان الثقات في سندٍ معينٍ أكثر من سندٍ آخر فهذا سببٌ من أسباب الترجيح، ووجهٌ من وجوه الترجيح، أما أن يكون العدد نفسه من غير نظرٍ إلى صفات المحدث

فهذا ليس من صناعة المحدثين.

وللأسف هذه النظرية من أخطر النظريات التي أقمحت في «أصول الفقه» وفي «المصطلح»، ومشت على كثيرٍ من الناس.

وكما قلنا: الأحاديث في الرؤية متواترة لا نشك في ذلك، منها: حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه يقول: كُنَّا جلوسًا مع رسولِ اللهِ ﷺ فنظر إلى القمرِ ليلةَ البدرِ فقال: «**إنكم ستَرَونَ ربَّكم**».

«إنَّ»: للتأكيد، التأكيد متى يؤتى به؟

التأكيد والقسم وغيرها من المؤكدات هذه تؤتى إذا كان أمامك من ينكر أو تتوقع منه الإنكار.

إذا دخل الشخص الآن من الباب، لا تقول: إن الرجل دخل.

من ينكر هذا؟!

ليس هناك من ينكر، ولذلك لا يحسن أن تؤكد هذا بأي تأكيد.

ولكن إذا دخل شخص وقال: بدأ يخبرنا عن حضور شخصية كبيرة في الخارج، إنَّ فلانًا قد اقترب من المسجد، لأن هذا يحتاج الآن.

هل يتوقع النبي ﷺ من أصحابه أن ينكروا؟

لا، معاذ الله، ولكنه مرسلٌ إلى الأمة فيهم من وفيهم ؟

وفيهم من لم يفدهم حتى هذا التأكيد: «**إنَّكم**» هذا تأكيد، أليس كذلك؟

الحديث في البخاري ومسلم.

«**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تُضَامُّونَ في رؤيته**».

في حديث أبي هريرة: «**كما ترون القمر ليلة البدر، لا تُضَامُّونَ في رؤيته**»، وفي بعضه الروايات: «**لا تضارون في رؤيته**».

«**لا تضامُّون**» من الضم؛ أي: لن تزدحموا لرؤيته، لأن رؤية الشيء المرغوب أحيانًا الناس يزدحمون، وينضموا بعضهم إلى بعض لرؤيته، لا، كل واحدٍ منكم يراه من مكانه.

«**ولا تضارون**»؛ أي: لا يلحقكم ضرر في رؤيته.

الضرر يلحق أيضًا من الازدحام، أليس كذلك؟ لا يلحقهم ضرر فيه.

إذن هذا حديث صحيح وصريح، ومثله أحاديث كثيرة: حديث أبي هريرة، الذين رووا أحاديث الرؤية أكثر من ثلاثين صحابي.

وهناك كتب مستقلة في الرؤية: الرؤية للإمام الدارقطني، الرؤية للإمام الآجري أوردوا فيها أحاديث الرؤية.

وهذه بعض أدلة الرؤية وليست كلها.

موقف المخالفين:

المخالفون هم: الجهمية، والمعتزلة، والكلابية بفروعهم، والأشاعرة، والماتريدية. **هذه فئة**.

وفئة أخرى: فئة المتصوفة الذين يرون أن الله ﷻ يُرى في الدنيا أيضًا.

تعرفون، سبحان الله! هؤلاء إن انفردوا بشيءٍ ينفردون بشيءٍ يكون قويًّا جدًّا، ثقيلًا جدًّا.

يقولون: يُرى في الدنيا، كلٌّ يراه بحسب حاله.

بعضهم -كما تعرفون- حلولية، وبعضهم اتحادية، عند بعضهم كل ما تراه فهذا مظهر من مظاهر الله ﷻ.

مع ذلك يجعلون لخواصهم مساحةً لا يجعلونها لغيرهم، كلٌّ يراه بحسب حاله.

أما النبي ﷺ أحدهم يقول: لو حُجبت عنه لحظه ما عديت نفسي مسلمًا!.

يعني: التقاؤه به، وكلامه وحوارهم معه مستمر.

المتكلمون بطوائفهم، بجهميتهم، بمعتزلتهم وغيرهم ينكرون الرؤية، ولكنهم ينقسمون إلى قسمين:

قسمٌ ينكر الرؤية هكذا، وهم الجهمية والمعتزلة.

وقسمٌ يثبت الرؤية، ولكنه يختلف مع أهل السنة في حقيقة الرؤية التي يثبتها.

الجهمية والمعتزلة ينكرون الرؤية، ويرون أن الرؤية معناها: زيادة العلم.

جميع النصوص التي فيها إثبات الرؤية معناها: زيادة العلم.

أما الكلابية؛ فتعرفون فروعهم الأشاعرة والمعتزلة.

الأشاعرة أوائلهم يثبتون الرؤية، الأشعري نفسه، والقلانسي، الكرابيسي هؤلاء كلهم يثبتون العلو، وكل من يُثبت العلو فإثباته للرؤية سهلٌ.

أما من ينكر العلو فلا يمكنه أن يثبت الرؤية.

المتأخرون أوائلهم يثبتون الرؤية ويثبتون العلو لا إشكال عندهم، المتأخرون من بعد الجويني لا يثبتون العلو، ويثبتون الرؤية.

فلذلك؛ **أولًا**: ستلاحظون أن الرؤية تقييدها بالبصر هذا سيختفي عندهم، اقرأوا في كتب المتأخرين.

ثانيًا: الرؤية التي يثبتونها يقيدونها بشيءٍ غريب ينفي الرؤية تمامًا، وهي رؤية بلا جهة مع أن هذه الرؤية ستكون بلا جهة.

كيف؟

بعضهم يقولون: بعد ما يأتي بنظرية غريبة جدًّا، ويسأل كيف؟

يقول: هذه غيبيات لا نخوض فيها، ولا ينبغي التكلف في علمها، نحن أمام غيبيات المتكلمين.

الغيبيات التي يأتي الإخبار عنها في النصوص، أما النظريات والغيبيات التي تأتي بها أنت، تأتي بنظريةٍ غريبة ولا تستطيع أن تفسرها، ثم تقول: هذه غيبيات لا نخوض فيها؛ كيف هذا؟ كيف يمكن الرؤية بلا جهة؟ من قال لك أصلًا الرؤية التي نثبتها هي بلا جهةٍ؟

لأنه أثبتنا العلو، وأثبتنا الرؤية البصرية ما بقي عندنا إشكال.

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]، ما عندنا أي إشكال.

ولذلك كما قلت: المتأخرون من بعد الجويني يثبتون الرؤية، ولكن لا يقيدونها بالبصرية، بل صرح بعضهم وهو على ما أذكر الآمدي، والرازي، والتفتازاني بأن الرؤية هنا بمعنى زيادة العلم، وأذكر كلام

التفتازاني في ذلك ذكر مثالًا قال: أنت الآن هنا في المسجد مثلًا علمك بالقمر علمٌ حصل لك بكثرة النظر إليه، أليس كذلك؟

وهذه حالة، مع ذلك لما تشاهد القمر علمك يختلف عن هذا العلم الذي هو عندك أصلًا.

يقول: المراد بهذه النصوص أن التفاوت بين علمك الآن، وعلمك في ذلك الوقت سيكون مثل التفاوت بين علمك بشيء، علمك به وأنت لا تنظر إليه، وبين علمك به وأنت تشاهده.

يا رجل، لماذا كل هذه التكلفات؟

لأنه أنكر أشياء مما جاءت به النصوص فوقع في مثل هذا.

الرؤية التي هي من أظهر الصفات عقدوها بهذا الشكل.

أنت إذا كنت تتحدث عن الرؤية قلت: الرؤية وانتهينا.

الآن لاحظوا كيف أنها تعقدت مع أنها رؤية؛ رؤية ليست بصرية، ورؤية ليست إلى جهةٍ!.

وبهذا نعرف أن المتأخرين لا ينبغي أن ينسب إليهم أنهم يثبتون الرؤية، لأن هذه ما صارت رؤية، بل على تصريح بعضهم وهذا مذهب المعتزلة بالضبط وليس هناك فرق، كما ذكرت الآمدي والرازي والتفتازاني ذكروا هذا.

أنا الآن أذكر كلامهم، وإلا أنا أتوقع أن هذا شيءٌ اتفق عليه المتأخرون، لأن هؤلاء أئمتهم.

لاحظنا كيف أن التدرج في هذه البدعة.

من أدلتهم أيضًا:

قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ قالوا: (لن) هذه للتعبير، (لن) هذه يسمونها «لن الزمخشرية»؛ لأن الزمخشري هو من أئمة المعتزلة، وتوفي سنة خمسمائة وثمانية وثلاثين (ت: ٥٣٨)، وهو صاحب «تفسير الكشاف» وهذا التفسير يهتم فيه بالناحية اللغوية، وهو من أئمة البلاغة؛ للأسف قالوا: هو من أئمة البلاغة، وعن طريق قوتهم في اللغة أقمحوا كثيرًا من النظريات في اللغة، وطوعوا اللغة لكثيرٍ من مآربهم.

(لن) هذه قالوا: للتأبيد، وهذا أيضًا غير صحيح، (لن) يكون فيها نفي ما تتوقعه أنت الآن، والله ﷻ ذكر اليهود أنهم لن يتمنوا الموت، في الآخرة ماذا يقولون؟

﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

إذن (لن) ليست على هذا التعبير الذي يذكرونه، ولا النفي بـ (لن) في الدنيا لا يستلزم أيضًا أن يكون هذا الشيء منفيًا في الآخرة.

الأساس عندهم هي الشبه العقلية: دائمًا هم يأخذون موقفًا لشبهةٍ عقليةٍ، ثم يأتون إلى النصوص ويلتقطون ما قد يفيدهم في هذا الباب، وإلا ذكر القاضي عبدالجبار في مقدمة «متشابه القرآن» سؤالًا، لأن بالنسبة للمعتزلة هم يصرحون بكل ما يعتقدون، ما تجد عندهم إشكال، الإشكال تجده عند الأشاعرة والماتريدية، هم يصرحون بأن العلم لا يحصل بالكتاب والسنة، وأنه لا ينبغي أن يُستدل بالكتاب والسنة في التوحيد والعدل، في التوحيد وقضايا القدر.

هكذا يصرحون: لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة في التوحيد والعدل عندهم، لماذا؟

يقولون: يحصل عندهم دورٌ وشبهٌ.

أثار سؤالًا في مقدمة «متشابه القرآن»: إذا لم تكونوا تستدلون بالكتاب والسنة فلماذا ذكر هذه؟

لأن متشابه القرآن، عندهم الأصول الخمسة؛ كل آيةٍ تخالف هذه الأصول اعتبرها من المتشابه، وتعامل معها على هذا الأساس أن هذه الآية من المتشابه.

«متشابه القرآن» مجلد ضخم مطبوع.

إذن القرآن كله متشابه، أو جُلُّهُ متشابه، لأن هذه الأصول التي ذكرها كل آية تخالفها فستكون من المتشابه.

المهم إذا لم تكونوا تستدلون بالكتاب والسنة، فلماذا تهتمون به؟

قال: هذا لدفع المخالفين، ونبين أن الآيات التي تظنها أدلة لك هي عليك، وليست لك هذا الغرض؛ صريحين في هذا.

ولذلك لما يستدلون هذا لدفع الخصوم فقط، تقول: عندي آية، وعندي أيضًا آية، عندك حديث، عندي أيضًا حديث.

ولذلك قد يختلقون حديثًا موضوعًا، أنت تذكر حديثًا متفق عليه، وهو يذكر لك حديثًا موضوعًا كثير في كتب المتكلمين.

يذكر أن هذه الأحاديث أخبار آحاد وهي تكون في الصحيحين، ثم في الأخير يذكر لك حديثًا موضوعًا يستدل به.

في قضية العلو ذكر الآمدي حديثًا أنا ما وجدته حتى في كتب الموضوعات.

قول النبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. هذا الحديث في صحيح مسلم.

طبعًا هذا من أخبار الآحاد، وهو لا يفيد إلا الظن، ثم ذكر حديثًا: «**الذي أَيَّن الأين لا يُقال له: أين**» هذا الحديث ما وجدته حتى في كتب الموضوعات، ولكم أن تبحثوا.

ما أظن ابن الجوزي وغيره، ما أعتقد، والله أعلم أنا ما وجدته.

ثم يقول الرازيان رَحِمَهُمَاٱللَّهُ:

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ

الشرح

هذا النص مأخوذٌ من حديث عبادة مرفوعًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

هذا الحديث: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله**» لم يذكر الأنبياء والرسل إلا هذين الرسولين الكريمين، لأن نبينا محمد ﷺ الشهادة برسالته ركن، وأيضًا هو مظنة الغلو بالنسبة لأمته، ولذلك عبده قبل أن يكون رسوله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

«**وأن عيسى**»، لأنه قد حصل فيه الغلو أصلًا، «**وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». الحديث متفقٌ عليه.

وكذلك حديث ابن عباس في صحيحه ورد فيه أيضًا بهذا النص: «**والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ**».

حقٌّ، هذا يتكرر معنا؛ أي: ثابتٌ يجب الاعتقاد به.

وذكر الجنة والنار، وذكر أوصافهما في الكتاب والسنة لا يحصى كثرةً، كثيرٌ جدًّا.

وَهُمَا مَخْلُوقَانِ.

الشرح

هذه الجملة يذكرها الأئمة، لأن هناك من ينكر هذا.

والأدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان قبل دخول المكلفين إليها كثيرة جدًّا منها: فالجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣]﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].

وفي النار: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٤].

ومنها قول النبي ﷺ كما رواه أحمد وأبو داود: «لمَّا خلقَ اللهُ الجنةَ قال لجبريلَ: اذهبْ فانظرْ إليها».

ومن الأدلة على تدل على هذا أيضًا: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

يدل على أن الجنة مخلوقة قبل خلق آدم وزوجته، وكما قلنا الأدلة في هذا كثيرة.

ذهب الجهمية ومعهم بعض القدرية، وبعض المعتزلة: كأبي هاشم وعبد الجبار وجماعة إلى أنهما غير مخلوقتان الآن، لماذا؟

لأنه لا يتفق مع حكمة الله ﷻ، لا ينسجم مع حكمة الله ﷻ أن هناك جنة ونار وهما معطلتان الآن وستبقيان هكذا معطلتين إلى أن يأتي وقت إشغالهما بالمستحقين، هكذا قال.

وأصل بليتهم: في هذا اعتمادهم على ما يسمونه بالتحسين والتقبيل العقليين، ما استحسنوه بعقلهم أوجبوه على الله ﷻ، وما استقبحوه بعقولهم، قالوا: لا يجوز أن يكون من الله ﷻ.

قالوا: بما أنه يقبح عقلًا أن يخلق الجنة والنار هكذا، وتبقى معطلتين إلى أن يأتي ذلك الوقت، فلذلك نقول: هي ليست موجودة الآن، وإنما تخلقان عند الحاجة.

نقول لهم: أولًا: من قال لك: بأنهما معطلتان؛ نعيم الأرواح في القبر وعذاب الأرواح في القبر يأتي من الجنة، من روحها ونسيمها، وكذلك لفحها بالنسبة للكفار.

إذن ليستا معطلتين.

ثانيًا: مثل هذه الأمور التي تأتي فيها النصوص ما نظر فيها بمثل هذه الأصول؛ التحسين والتقبيح.

الحقيقة مذهب المعتزلة في التقبيح والتحسين يعتبرونه مثل الرسول.

ولذلك أي مسألة فيها حكمٌ للعقل فالشرع يكون تابعًا.

ومن هنا تأتي مسألة تقديم العقل على النقل أو تقديم النقل على العقل، لأن هذا الأصل: التحسين والتقبيح العقليين عندهم أصل، فالشرع يأتي لتأييد ما ذكره العقل.

أي عقلٍ هو معيارٌ على كتاب الله ﷻ؟

بالطبع: عقلهم هم، حتى ولو قلنا: أن عندنا أيضًا عقول، وعقولنا لا تتفق مع عقولكم، فسيكون عقل أبي هاشم وعبدالجبار والعلاف والنظَّام عقولهم هي الـ..، فلذلك تجدهم أكثر الناس اختلافًا؛ المعتزلة أنفسهم حتى في الأمور التي..، هذا يرى أن هذا واجبٌ عقلًا والثاني يرى أن هذا لا يجب عقلًا.

هذه شريعة المعتزلة التحسين والتقبيح العقليين.

ومن أدلتهم التي يستدل بها لدفع الخصوم قوله سبحانه: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص:٨٨].

قالوا: حتى للقول بوجودهما، بوجود الجنة والنار ستفنيان وستعدمان مع بداية القيامة.

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص:٨٨] فنحن نقول لهم: هناك فرقٌ بين الهلاك والفناء، وبين العدم.

الهلاك والفناء قد يطلق على تغيير صفة الشيء، وعلى عدم إبقاء هذا الذي هو الآن.

مثلًا: الموت، مات فلان، وهلك فلان، أليس كذلك؟

هل معناه: نهاية الإنسان؟

لا، هذه بداية لحياةٍ أخرى.

يطلق عليه الهلاك، لأن هذا لم يبق على هذه الصفة التي عليها الآن.

والأرض، وجميع ما في السماوات والأرض يطلق عليها الهلاك مع أن الله ﷻ يقول: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

إذن هناك فرق بين العدم، وبين الفناء والهلاك.

الفناء والهلاك لا يستلزم العدم.

وأيضًا الله ﷻ يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨].

إذن الله ﷻ استثنى أشياء ما ندري عنها، فما خُلِقَ للبقاء يبقى، وما خلق للفناء والهلاك يعدم أو يهلك يفنى.

والجنة والنار خُلقتا للبقاء، وهما -كما ذكر الرازيان هنا-: مخلوقتان.

هما مخلوقتان الآن.

أين بالنسبة للجنة كما في النصوص؟

هي في السماوات.

كما في حديث الإسراء الطويل، وكما في الآية أيضًا عند سدرة...المنتهى...المأوى.

وفي قول النبي ﷺ: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ -أي بمعنى: تتفجر- أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

أما بالنسبة للنار فالله أعلم، هناك نصوص تشير إلى أنها في الأرض الله أعلم بحقيقتها ومكانها.

ونحن نؤمن أن النار والجنة كلاهما مخلوقتان الآن.

ومن الأدلة أيضًا التي يستدل بها هؤلاء النصوص التي فيها أن الجنة يزاد فيها بحسب الأعمال، كما في الحديث: «الجنة قيعان» وأن مع الذكر وكذا يزاد فيها.

يقال لهم: وجود الجنة، نحن نتحدث أن عن موجود أما ما يزاد فيه بحسب الأعمال هذا شيءٌ، وليس هناك تعارض بين الأمرين.

إذن هما مخلوقتان الآن.

لَا يَفْنَيَانِ أَبَدًا .

الشرح

هذه مسألة أخرى: هل الجنة والنار تفنيان؟

لا تفنيان.

وهذه المسألة حكى الإجماع عليها كثير من الأئمة، طبعًا لا خلاف في الجنة، هناك خلاف لبعض الأئمة في النار.

وينبغي أن نحرر في هذه المسألة أيضًا:

النار ناران: نار العصاة من المؤمنين، ونار الكفار.

نار الكفار هذه لا ينبغي أن نختلف في أبديتها، أما نار العصاة فينبغي أن تُحمل أقوال بعض السلف التي وردت في هذا تحمل على نار العصاة؛ لأن نار العصارة بعدما ينتهي عذاب هذا العاصي لا يخلفه أحدٌ.

أما نار الكفار هي أبدية بأبديته، لأن الكفار كما في كثيرٍ من الآيات أنهم: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [النساء:١٦٩].

وهذا الذي ينبغي أن يقال، ونُقل عن شيخ الإسلام في هذه المسألة، قد تنقصه الدقة، لأن بعضهم ينسب إليه هكذا ويقول: في بعض أقواله تصريحٌ بفناء النار، وهذا غير صحيح، في كثيرٍ من أقواله نصٌّ في أبدية النار، وخلود أهل النار.

بعض النصوص نُقلت من كتابٍ له لم يُطبع إلى الآن كاملًا، ولم نحصل عليه كاملًا، جميع النصوص التي في فناء النار نُقلت منه، أما كتبه الآخرة الثانية و«الدرء» و«منهاج السنة» وغيرها من الكتب يذكر فيها إجماع أهل السنة على أبدية الجنة والنار.

أما كلام تلميذه ابن القيم فطويل جدًّا في كتابه «الصواعق» وفي كتاب «حادي الأرواح» وفي عرض كلامه ما يدل على أن فيه شيءٌ عنده، مع أنه يرجح في «الوابل الصيب» ذكر اتفاق أهل السنة على أبدية الجنة والنار، ورجح هذا، ولكن لما يعرض، وتقرأ كلامه بالتفصيل يدل على أنه يميل إلى شيءٍ.

طبعًا، تركيزه على معاني أسماء الله وصفاته، وأن هذه المعاني تدل على واقع أن رحمة الله ﷻ سبقت غضبه، كما في الحديث، وأن مقتضى هذه المعاني يكون كذا وكذا، لكن نحن أمامنا النصوص واضحة لا تحتاج التأويل، فنحن نقول بها ونؤمن بها، ونقول: نار الكفار هذه لا تفنى، كما أن الجنة لا تفنى.

وَالْجَنَّةُ ثَوَابٌ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

الشرح

الجنة ثوابٌ لأوليائه، أولياؤه الذين يدخلون الجنة، وهذا يشمل أصناف:

الصنف الأول: الذين لا توزن سيئاتهم، لعدمها أو لقلتها وضآلتها، كما هو الحال في الأنبياء والصالحين والشهداء وغيرهم.

الصنف الثاني: له سيئاتٌ وحسناتٌ ولكن حسناته راجحة، يدخل الجنة من أول وهلة.

الصنف الثالث: له سيئاتٌ وحسناتٌ، ولكن سيئاته وحسناته متساوية، هذا أيضًا يدخل الجنة، «ورحمتي سبقت غضبي».

الصنف الرابع: له سيئاتٌ وحسناتٌ، ولكن حسناته مرجوحة وسيئاته راجحةٌ، هذا الصنف إلى مشيئة الله ﷻ، إن شاء غفر له وأدخله الجنة وجعله من هذه الأصناف، وإن شاء طهره بحسب سيئاته في النار ثم يدخل الجنة.

هؤلاء في النهاية كلهم في الجنة، حتى مصير هؤلاء الذين رجحت سيئاتهم إلى الجنة.

والنار عقابٌ لأهل معصيته، وهم صنفان:

الصنف الأول: الكفار.

أهل المعصية لما يُطلق على المؤمنين؛ لأن عندهم معاص، ولكن الرازيين هنا أطلقوا هذا على الكفار والعصاة من المؤمنين ليكون كلامهم عامًّا وشاملًا للصنفين.

الصنف الأول: الكفار.

الذين ليس عندهم إلا معاصٍ.

وهؤلاء يدخلون النار ويتأبدون فيها.

الصنف الثاني: المسلمون الموحدون.

الذين ترجحت سيئاتهم، وهؤلاء يعاقبون بالنار، ولكن مصيرهم إلى الجنة.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، هذا للصنف الرابع، الذين رجحت سيئاتهم، الله عفى عنهم وغفر لهم، فيكونون من أصحاب الجنة من أول وهلة، يدخلون الجنة من أول وهلة.

فهنا قوله: **والنار عقابٌ لأهل معصيته**، هذا التعميم، ليشمل الكفار وأهل المعاصي المؤمنين.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.

الشرح

الصراط هو جسرٌ على متن جهنم، المؤمنون يصلون إلى الجنة عن طريق هذا الجسر، وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

واردها؛ لأن أهل الجنة الذين يدخلون الجنة يكون مرورهم أيضًا على هذا الصراط.

وهذا الصراط الذي ضُرب على متن جهنم، لا يتجاوزه إلا المؤمنون، ومن يدخل الجنة لأول وهلةٍ.

وقد ورد في السنة صفاتٌ كثيرةٌ للصراط، بعضها كانت سببًا لإنكار الصراط عند أهل البدع، أنه أحد من السيف، وأنه وأنه، وكل هذه الصفات نؤمن بها.

وهي كما قال الرازيان حقٌّ.

ومن الملاحظ أن الرازيين ذكرا الجنة أولًا، والصراط والميزان وغيرها من وسائل الوصول للجنة والنار أخرا هذه المسائل، وكان المفروض أن يذكر الصراط ووسائل الدخول إلى الجنة والنار قبل الجنة والنار، فيُبدأ به، ولكن يبدو أنهما قدما ذكر الجنة والنار لأن من يؤمن بهما يؤمن بوسائلهم، ومن لا يؤمن بالجنة والنار لا يؤمن بالوسائل المؤدية إليهما.

وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَّتَانِ، تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ.

الشرح

هذه النسخة عندي، لو كان فيها شيءٌ من الركاكة في هذا، وكما ترون، هذه مختصرةٌ جدًّا، ومن البعيد أن تتكرر كلمة (حق) في هذا، ولذلك أرجح أن الذي عندي هو الصحيح:

والميزان – الذي لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ، هكذا صحيح.

الميزان الذي له هذه الصفات، من صفاته أن له كفتان، والميزان الذي يكون لأجل وزن أعمال العباد حسنها وسيئها، يعني: ذكرا فيه صفةً من صفاته، وأيضًا: لماذا الميزان؟

هذا الميزان حقٌّ، لماذا ذكر هذه الصفة، الذي له كفتان؟

أولًا: لأنه ميزان حقيقيٌّ، ليس ميزانًا بمعنى العدل كما يذكره المتكلمون، بالأخص المعتزلة.

ثانيًا: هذا أُخذ من النصوص، ففي حديث البطاقة أن أحدهم يُنشر له تسعةٌ وتسعون سجلًا، ثم يُؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، فتوضع في كفة، السجلات التسعة والتسعون في كفة، وكلمة الشهادة في كفة.

وهذا يدل على أن له كفتان، والنصوص التي يؤخذ منها أن له كفتان كثيرة أو عديدةٌ.

وذكر بعضهم أن له لسانٌ، ولكن لم يصح به حديثٌ صحيحٌ مرفوعٌ، ولكنه ورد عن بعض الصحابة والتابعين.

توزن فيه أعمال العباد.

ما الذي يوزن فيه؟

أولًا: أعمال العباد، كما ذكر الرازيان.

ثانيًا: هناك أدلة على أنه يوزن فيه العباد أنفسهم.

وما ذكروا فيه هنا هو الأهم؛ لأن إنكار أهل البدع للميزان منصبٌ على العمل، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها، قالوا: بما أن الأعمال هذه أعراض، والأعراض لا يُتحكم فيها وزنًا، فكل ما ورد

في الميزان فهو عبارةٌ عن العدل أو القسط الذي يقيمه الله ﷻ، ولا يظلم ربك أحدًا، قالوا: وهذا هو المقصود.

وهذا مذهب المعتزلة، لا يثبتون الميزان.

أما الكلابية وفروعها يثبتون الميزان؛ لأنهم في باب أحسن بكثير من المعتزلة، في باب السمعيات، بالنسبة للأشاعرة خلافهم قليلٌ، خلافهم فقط في التأصيل، أما في الفروع قليل، لما يدخلون في هذا الباب يقولون: كل ما ورد من النصوص في هذا الباب في السمعيات نأخذ به لأمرين:

الأمر الأول: لأن العقل لا يحيله.

الأمر الثاني: لأن النصوص وردت به.

ونحن نقول لهم: حتى في باب السمعيات؛ لأن العقل لا يحيله؟ لا؛ قدموا هذه: لأن النص ورد به، وأن العقل لا يحيله؛ إذا ورد النص بشيءٍ فاعلم أن العقل لا يحيله؛ وهذا الإشكال عندهم، وإلا في التفاصيل خلافهم مع أهل السنة نوادر في مثل هذه المسائل.

أما أهل الاعتزال فخلافهم كثيرٌ.

هم يقولون: أن المقصود بالميزان هو إقامة العدل.

مع أن النصوص الواردة تدل على أن هناك ميزانًا حقيقيًا به تُوزن الأعمال.

قولهم: أن الأعمال هذه أعراض، والأعراض لا يُتحكم فيها وزنًا، فهذا لو عاشوا إلى الآن ما قالوا بهذا، نحن نعرف الآن كثيرًا مما ألحقوه بالأعراض نتحكم فيه، من ذلك: الصوت.

قالوا: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]؛ لأن الكلام من الأعراض، ومستحيلٌ أن يُنقل! فلذلك أولوه.

والآن يُتحكم في هذا الصوت، بأدق التفاصيل.

وهناك نصوصٌ تدل على أن هذا الميزان فعلًا حقيقيًا.

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧] هناك موازين تُنصب.

وذكر الموازين في الكتاب والسنة كثيرةٌ.

وبعض أهل العلم إلى الموازين؛ الجمع؛ لأن لكل عملٍ ميزانًا، وبعضهم ذكر أن الجمع بالنظر لكثرة الناس، والله أعمل.

وقد يكون لكل عملٍ ميزان، والله أعلم.

المهم: نحن نؤمن بأن هناك موازين تُنصب وتُوزن بها الأعمال؛ لإظهار حقيقة ما عندك لك، وهذا من عدل الله ﷻ أنه لا يظلم أحدًا، أنت ترى أعمالك بنفسك، تراها توزن بدقة؛ وإلا علم الله لا يحتاج إلى أن يظهر بالميزان.

وَالْحَوْضُ الْمُكْرَمُ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ حَقٌّ.

الشرح

هنا ذكروا هذه المسألة، مسألة الحوض، وذكروا أيضًا فائدةً من فوائد هذا الحوض.

كما ذكر الطحاوي: غياثًا لأمته، يعني: الناس في ذلك الوقت يكونون في موقف عظيم، تلك المدة الطويلة، وحالهم فيها من أحوج ما سيكونون إلى الماء، ففي تلك المدة العصيبة يكون الحوض.

ولذلك ذكر الطحاوي في متنه: **غياثًا لأمته. هذا أمرٌ**.

وأمرٌ: أن النبي ﷺ أُكرم به.

وهناك حديثٌ اختلف في صحته وضعفه «أن لكل نبيٍّ حوضًا» وهو إلى الضعف أميل، ويبدوا أن الحوض هذا مما اختص به نبينا ﷺ.

هل يشير الرازيان وهما إمامان، وكل إشارة لها معنىً عندهما، هل يشيران إلى أن النبي ﷺ قد اختص بهذا دون الأنبياء والرسل؟

أميل إلى أنهما يشيران إلى هذا.

المكرم به نبينا ﷺ، وهذا قد يشيران به إلى ضعف الحديث الذي ورد في هذا.

الحوض متى يكون؟

اختلف في هذه المسألة: الجماهير من أهل السنة يرون أن الحوض يكون قبل الصراط، وذكر بعضهم أنه بعض الصراط، وذكر بعضهم أنه قبل الصراط وبعد الصراط ومال إليه ابن القيم للجمع بين الأدلة.

والله أعلم أنه قبل الصراط، هذا هو الصحيح؛ لأنه يُزاد منه المرتدون، يُدفع منه المرتدون، فإذا كان بعد الصراط، فكيف وصلوا، والمرتدون لا يمرون على الجسر أصلًا؟ يلقون في جهنم؛ فكونهم يصلون إلى الحوض يدل على أنه قبل الجسر.

وأدلة الحوض كثيرةٌ، بل متواترة.

وصفة حوض النبي ﷺ، وصفة آنيته وأنها عدد نجوم السماء، وردت أحاديث كثيرة في وصف حوض النبي ﷺ.

ولا ينكر الحوض إلا جمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من الخوارج، أما أهل السنة فالمسألة عندهم مجمعٌ عليها.

جمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من الخوارج ينكرون الحوض، ما هو الدليل الذي استدلوا به؟

ليس هناك دليلٌ لا من الكتاب ولا من السنة، وإنما يقولون: هذه الصفات التي وردت في الحوض مستحيلةٌ، وأنه لا حاجة إلى الحوض، وأنه –كما رأينا- يناقشون الله ﷻ، ويقررون ما تقرره عقولهم؛ فليس عندهم حتى ما نسميه شبهةً من الأدلة.

وأما دليلهم العقلي فهو المعتمد عندهم.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا وإياكم العلم النافع، وأن يزيدنا وإياكم من العلم النافع والعمل الصالح.

وَلَا نُكَفِّرُ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَنَكِلُ أَسْرَارَهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَنُقِيمُ فَرْضَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ. وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَلَا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَنَا وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ ، وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ. وَأَنَّ الْجِهَادَ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ. وَالْحَجُّ كَذَلِكَ ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوَائِمِ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. وَالنَّاسُ مُؤَمَّنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ ، وَلَا نَدْرِي مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا فَهُوَ مُصِيبٌ. وَالْمُرْجِئَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ ، وَالْقَدَرِيَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ ، فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ. وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ ، وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الْإِسْلَامَ ، وَالْخَوَارِجَ مُرَّاقٌ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ. وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ. وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ يَقُولُ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ. وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ. وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ ، وَعَلَامَةُ الزَّنَادِقَة- تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الْآثَارِ. وَعَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً ، وَعَلَامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الْأَثَرِ مُجَبِّرَةً. وَعَلَامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنُقْصَانِيَّةً. وَعَلَامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً. وَلَا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ.

الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

في نهاية هذه الرسالة، ذكر الرازيان رحمهما الله بعض الفرق من أهل البدع، وهذه الفرق المذكورة هنا هي أصول الفرق المبتدعة، أشارا إلى الحكم العام فيهم، كما أنهما أشارا إلى موقفهم من أهل السنة، موقف هذه الفرق من أهل السنة، طبعًا الموقف الذي يجمعهم كلهم عداء أهل السنة، يعادون أهل السنة، ولكن كل واحدٍ منهم يسميهم حسب نحلته، وحسب ما يظنه من المخالفة، كل واحدٍ منهم يسمى أهل السنة باسمٍ خاصٍّ، وبالمخالفة التي يراها.

وأشارا بعد ذلك إلى الموقف من أهل البدع عمومًا، وهو أنك لابد أن تبتعد عن المبتدعة، وتهجرهم، ولا تحتك بهم، حتى لا تتأثر بهم، وحتى لا يؤثروا فيك؛ لأن بعض كلامهم قد يكون شبهةً قويةً فتعلق بالذهن، ولا تجد ما يدفع هذه الشبهة بقوةٍ، ولذلك الأحسن والأسلم ألا تعرض عقيدتك ودينك لأهواء أهل الكلام، وتسلم بدينك وعقيدتك.

وأشارا أيضًا إلى بعض المسائل التي تتعلق بهذه الناحية، الموقف من أهل البدع.

بدءا هذه الفقرة بقولهم:

وَالْمُرْجِئَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ.

الشرح

وهذا القدر يدل على أنهما لا يكفران المرجئة.

ويقصدان هنا المرجئة الذين هم دون الغلاة؛ لأن المرجئة الغلاة هم الجهمية وسيأتي ذكرهم.

فقصدهم هنا: من عدا الجهمية، وهم لا شك أنهم مبتدعةٌ وضلالٌ، وذكرنا سابقًا في مبحث الإيمان فرق المرجئة وأنها أربعة فرق: منهم من يقول الإيمان هو المعرفة فقط، وهم الجهمية.

ومن يقول: الإيمان تصديقٌ فقط، وهو جمهور المتكلمين.

ومن يقول: الإيمان قولٌ وتصديقٌ، وهم مرجئة الفقهاء.

والمذهب الرابع هو مذهب أهل السنة، بل هو المذهب الأول: أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ.

وَالْقَدَرِيَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ.

الشرح

المبتدعة جميعهم ضلالٌ؛ وهذا الوصف يشملهم؛ لأنه لو لم يكن ضالًا لم يكن مبتدعًا، وما دام أنه مبتدعٌ فهو ضالٌّ.

وهم يتفاوتون في هذا الضلال، ولكن لا يصل أحدهم حد الكفر، إلا إذا كانت هذه البدعة تناقض أصل الإيمان، وتدل على أنه يفقد أصل الإيمان.

والقدرية المراد بهم هنا : هم القدرية المتأخرون، الذين ينكرون عموم مشيئة الله، يثبتون مشيئة الله، وينكرون عموم خلق الله، يثبتون أيضًا عموم خلق الله.

وكما تعرفون: أن القدر الإيمان به لا يتحقق إلا بالإيمان بأربعة مراتب: الإيمان بعموم علم الله الشامل المحيط، والإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، والإيمان بأن الله ﷻ له مشيئته النافذة، ومشيئته عامة، المشيئة الكونية، هذه المرتبة الثالثة، والإيمان بعموم الخلق، وأن جميع المخلوقات لم يخلقها إلا الله.

فهؤلاء القدرية الذين أشارا إليهم الرازيان هم القدرية الذين يؤمنون بالمرتبتين الأخيرتين، من حيث الأصل، ولكن لا يؤمنون بعمومها، فعندهم أن العبد مشيئته في أفعاله هي النافذة، وأفعال العباد هي مخلوقةٌ لهم وليست لله ﷻ.

فهنا لما يأتون إلى أفعال العباد يقولون: مشيئة العباد هي التي تنفذ في أفعالهم، وأن أفعال العباد هي خلق العباد، وليست خلق الله.

فلاحظتم: أنهم أخرجوا أفعال العباد من عموم مشيئة الله، وأخرجوها أيضًا من عموم الخلق، فهناك بعض الأشياء خلقها غير الله، وهناك بعض الأشياء لا تشملها مشيئة الله؛ لذلك قيل عن القدرية: مجوس هذه الأمة.

لأن المجوس يقولون بإلهين: إله الشر وإله الخير، النور والظلمة.

وهؤلاء أيضًا جعلوا بعض المخلوقات خالقةً، فنسبوا بعض الخلق إلى بعض المخلوقات، وهذا شركهم في الربوبية، القدرية هؤلاء شركهم في الربوبية.

ولكن من ينكر عموم الخلق وعموم المشيئة لا يُكفرون، وهم المعتزلة؛ لأن شبهتهم قويةً عندهم، هم يرون أن عموم الخلق وعموم المشيئة هذا يقدح في عدل الله، فلذلك نتحمل عدم تعميم مشيئته وخلقه تعظيمًا للأوامر والنواهي، هكذا يقولون.

وتقابلهم الفرقة الأخرى، الجبرية: الجبرية يقولون أن الإنسان ليس له مشيئةٌ أصلًا، وليس له قدرةٌ واستطاعةٌ، وبالتالي ليس له أي فعل، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا، ولا ينسب إليه شيءٌ إلا مجازًا، فأفعال العباد تُنسب إليه عندهم مجازًا؛ لأن الإنسان كما يقولون: كالريش في مهب الريح.

لماذا؟

قالوا: لأننا إذا أثبتنا أنه يفعل وأنه يستطيع وأنه يؤثر فهذا فيه شركٌ.

ليش؟

لأن القدرة لله ﷻ فقط، وأنت إذا أثبت أن غيره أيضًا يفعل ويؤثر، وله قدرة واستطاعة، فلم تؤمن بعموم قدرة الله ﷻ.

شوف الشبه هذه كيف تتجاذب؟ وكيف تأخذ الناس؟

الإنسان له قدرةٌ وله مشيئةٌ، وهذه المشيئة وهذه القدرة هي محكومةٌ بمشيئة الله وقدرته.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

له مشيئةٌ، ولكن هذه المشيئة لا تخرج عن مشيئة الله، أولًا.

وثانيًا: هذه المشيئة هو الذي أعطاه إياها، هو الذي جعله يشاء، وهو الذي جعله يقدر، وهو الذي جعله يستطيع، وهو الذي جعله ينوي، وهو الذي جعله يفعل.

وهناك حدود لمشيئته، وهي في العموم لا تخرج عن مشيئة الله العامة.

والتكليف بالنسبة للإنسان يرجع إلى هذه المشيئة وهذه القدرة، فمن تنقصه المشيئة، يكون مجنونًا، الذي لا يشاء هذا مجنون، فلا يُسأل، وبالتالي لو كان قادرًا ليس مكلفًا.

ومن كانت تنقصه القدرة وهو عاجزٌ، فبالتالي ليس مكلفًا.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

فالقدرية في جانب، وهؤلاء في جانب.

وهذا القدر من البدع عند القدرية، جماهير أهل السنة على أنهم لا يُكفرون بها؛ لأجل هذه الشبهة.

ولكن هناك فئةٌ من القدرية يُكفرون، من هم؟

يقولان: **فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ.**

عند اللالكائي هكذا.

وهذا عكس.

فالعبارة هكذا: **فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَعْلَمُ مَا يَكُونُ قَبلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ.**

الشرح

يشيران هنا إلى فرقة القدرية التي اندثرت، وليس لها وجود الآن، وهذه الفرقة من القدرية كانت نشأت في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم في القصة المعروفة التي ذكرها الإمام مسلمٍ في أول حديثٍ أخرجه في صحيح مسلم، يحيى بن يعمر وزميله لما جاءا إلى ابن عمر رضي الله عنهما وذكرا له أن ناسًا في قبلهم يتقفرون العلم، يعني: من طلاب العلم، ليسوا من العوام، يزعمون أن الأمر أنف، أي: أن الله جل جلاله لا يعلم بالأمور إلا قبل وقوعها، من ينكر العلم يلزمه أن ينكر الخلق أيضًا؛ لأن الخلق يدل على العلم، الله جل جلاله هو خالق كل شيءٍ، والخلق يسبقه العلم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك:١٤] فمن ينكر العلم سواءً اعترف أم لا يلزمه أن ينكر الخلق أيضًا؛ لأنه لو كان خَلْقُه لعلم به قبل أن يخلقه؛ لأن العلم يسبق الخلق، فهؤلاء ينكرون العلم صراحةً، أما بالنسبة للخلق، فهذا يلزمهم.

يقولون: الله لا يعلم بالأمور إلا بعد وقوعها، وبالتالي ينكرون الدرجتين الأوليين من درجات الإيمان بالقضاء والقدر، العلم والكتابة، فمادام لم يعلم لم يكتب.

وإنكارهم للدرجتين الأخيرتين يلزمهم، سواءٌ صرحوا به أم لا.

فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَعْلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ.

هذا مذهب أكثر السلف، صرح به الإمام أحمد وغيره؛ أن من ينكر العلم فهو كافرٌ، وهذه الفرقة كما قلت، ليس لها وجود في كتب المؤلفين في الفرق والملل والنحل، وما نعلم عن وجودها الآن، الموجودون الآن هم القدرية المعتزلة.

وبعض السلف يفكر القدرية عمومًا، ففما ذكره الرازيان أن القدرية مبتدعة ضلال، على التفصيل الذي ذكرته هذا عليه الجماهير، لكن بعض السلف يكفر القدرية عمومًا لأن كلامهم يقتضي إنكار العلم باللزوم، وخاصةً فيما أخرجوه من خلق الله ﷻ.

هذا المبتدع الذي يزعم أن أفعال الإنسان ليست مخلوقةٌ لله ﷻ ما موقفه بعلم الله بهذه المخلوقات، هل كان يعلم بأن هذه المخلوقات ستعمل كذا وكذا؟

وهو لا يمكنه أن يؤمن بالعلم كما يجب، فلذلك أهل السنة يقولون: ناظر القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروا كفروا. التحقوا بمن ينكر المرتبتين الأوليين صراحةً.

فلا شك أن إنكارهم لهذا الجزء وعدم القول بتعميم الخلق في هذا الجزء الذي يخرجونه من خلق الله هذا يستلزم أن ينكروا علم الله السابق، خاصةً في هذه الجزئية.

على كل حال، مذهب الجماهير أنهم لا يُكفرون لأجل هذه الشبهة، أما من ينكر العلم فهذا يُكفر؛ أولًا: لا شبهته ضعيفة. وأيضًا: الذي ينكر العلم واضح أنه زنديق، فما الذي أبقاه لله ﷻ؟

المعتزلة عندهم شبهة: تعظيم الأوامر والنواهي وأنه لا يتحقق إلا بهذا.

وكذلك المرجئة عندهم شبهةٌ.

أما هؤلاء فما شبهتم؟

فمن ينكر المرتبتين الأوليين فهو كافر، وهذا مذهب الجماهير من السلف.

وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ .

الشرح

يقصد بالجهمية هنا من جمع بين ثلاثة أمور: الجهمية هم غلاة المرجئة، وهم غلاة المعطلة، وهم غلاة الجبرية.

الجهمية الذين يكفرهم الرازيان ويكفرهم أيضًا جمهور السلف هم غلاة المرجئة وغلاة المعطلة وغلاة الجبرية، جمعوا بين هذه الشرور الثلاثة.

ففي الإيمان مذهبهم: أن الإيمان هو المعرفة فقط، فإبليس عندهم مؤمن، وفرعون عندهم مؤمن.

وكما ذكرنا سابقًا سواءً التزموا بهذا أم لا، يلزمهم هذا، ودائمًا نحن لما نذكر اللوازم نذكرها لإلزامهم وليست لنسبتها إليهم مذهبًا، أي: يلزمهم أن يكون فرعون مؤمنًا، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤] وكذلك الشيطان لا ينقصه العلم.

غلاة المرجئة إمامهم جهمٌ، في باب الإيمان لما يُذكر الجهمية فهم هؤلاء غلاتهم.

وفي باب التعطيل لما يُذكر الجهمية فهم الذين ينكرون الأسماء والصفات، وبه اشتهر هذا الخبيث، اشتهر بالتعطيل، فلذلك لا يكاد يعرف في باب الإيمان والقدر في ذكر أصناف البدع لما تُذكر الجهمية والجبرية يظن الناس أن أئمتهم غير هذا الجهم، مع أن هذا الخبيث هو إمامهم، هذا الخبيث إمام ثلاث فرق غالية في بدعتها: التعطيل، القدر، الإيمان.

التعطيل: وبه اشتهر، لا يثبت في باب الأسماء والصفات لا الأسماء ولا الصفات، لأنه كما سيأتي في موقف الجهمية من أهل السنة؛ أن إثباتها يستلزم التشبيه.

في باب القدر: مذهبه مذهب غلاة الجبرية، الذين ذكرت أن الإنسان لا تُنسب إليه الأفعال.

وفي الإيمان: يخرجون قول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب كلها من الإيمان.

فزندقتهم واضحة، هذا الرجل ما الذي أبقاه للإسلام؟ واضح من هذا أنه زنديق؟ وإلا هل تجتمع فيه هذه الشرور الثلاثة، وهو في كلها غالٍ؟

ولذلك أكثر السلف على تكفير من اجتمعت فيه هذه الأمور الثلاثة، وسيأتي ذكر أن المعتزلة والأشاعرة والماتريدية يسمون جمهيةً، ولكنهم يُسمون جمهيةً في باب التعطيل فقط، لأن كل من عنده شيءٌ من التعطيل يُسمى جهميًّا، حتى ولو كان تعطيله جزئيًّا، حتى ولو كان تعطيله قليلًا، هذا يسمى جهميًّا؛ لأن شيخ التعطيل هو هذا الجهم .

فالجهمية في التعطيل ثلاثة درجات:

الدرجة الأولى، الطبقة الأولى: هي طبقة الجهم نفسه، وهذه الطبقة كما قلنا كفار.

الطبقة الثانية: طبقة المعتزلة، وهذه الطبقة تثبت الأسماء، وتنفي الصفات، تثبت الأسماء مجردةً عن المعاني، تثبتها ولا تثبت لها المعاني، كما يقولون: عليمٌ بلا علمٍ قديرٌ بلا قدرة، سميع بلا سمعٍ، هذه الخرافة للمعتزلة.

الطبقة الثالثة: طبقة الأشاعرة والماتريدية الذين يثبتون الأسماء وبعض الصفات، وهذا التفصيل ذكره شيخ الإسلام في «التسعينية».

هذا في باب التعطيل.

يأتي بعض المعاصرين يهذي ويتهم شيخ الإسلام بأنه لا ينصف الفرق، وأنه ذكر أن المعتزلة طبقة في الجهمية، مع أن المعتزلة يخالفونهم في القدر، هذا الكلام فيه التحامل الواضح، وشيخ الإسلام هنا يذكر درجات المعطلة، كما في القدرية لهم درجات، والجبرية لهم درجات: الغلاة هم الجهمية، والذين يليهم هم الأشاعرة، في الإيمان المرجئة لهم درجات، غلاتهم الجهمية، ويليهم الأشاعرة مرةً أخرى، في باب التعطيل: غلاتهم الجهم، ويليه المعتزلة، ثم الأشاعرة.

فالمعتزلة كما قلنا هم قدرية يخالفون الجهمية في القدر، لكن في التعطيل هم الطبقة الثانية في التعطيل، والطبقة الثالثة هم الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات وجميع الأسماء.

والذين يكفرهم الرازيان هنا، الذين يجمعون بين هذه الشرور الثلاثة، وقولهم فيها قول الغلاة في الجوانب الثلاث: الإيمان والقدر والتعطيل.

وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الْإِسْلَامَ.

الشرح

لكثرة أصولهم التي يرفضون بها الإسلام، أصولهم التي فيها الرفض كثيرة.

وَالْخَوَارِجَ مُرَّاقٌ.

الشرح

تعبير الرازيين هنا عن الخوارج دقيقٌ، تعبيرهم في كل هذا دقيق، عن الرافضة والخوارج والقدرية، وكما قلنا في بداية الدرس: الرازيان هما إمامان علمان، وهذه العقيدة مختصرةٌ جدًّا، من أخصر المختصرات.

الخوارج مراقٌ، لم يقولا: كفار، ولم يقولا: مبتدعةً، فجعلونا في حيرةٍ من، ولكن مع ذلك تعبيرهم من أدق ما يكون؛ لأن هذا الذي ورد في الحديث؛ لأن هذا مأخوذٌ من قوله ﷺ: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**» السهم لما يخرج كيف يكون خروجه؟ يكون خروجه سريعًا، وهل يتوقع أن يرجع السهم؟

لا؛ ولذلك مروقه وخروجه عن الإسلام سريعٌ، ورجوعه إلا أن يتداركه الله بفضله ومنه، لأن الخوارج عندهم عنفٌ في كل شيءٍ، عنفٌ على أنفسهم، وعلى غيرهم، لا يرحمون أنفسهم فكيف يرحمون غيرهم؟

ألزموا أنفسهم بالغلو الذي ما أنزل الله به من سلطان، غلو في العبادات، الغلو في، ولذلك الحكم على غيرهم من أرخص ما يكون.

وهذا التعبير كما قلت مأخوذٌ من الحديث «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**» الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والصحابة كانوا يسمونهم

المارقة، وكانوا يسمونهم المارقين، كما كان يسميهم علي بن أبي طالب ﷺ، وهذا القدر لا يختلف عليه أحدٌ.

وهل هم كفار؟

الجماهير من أهل السنة أنهم ليسوا كفار، وبعض الصحابة أذكر منهم أبو سعيد الخدري ﷺ كان يرى أنهم كفار؛ لأنه وصفهم في هذه الأحاديث يدل على خروجهم من الإسلام، كما في هذا الحديث، وكما في وصفهم «**كلاب أهل النار**».

والخوارج هي الفرقة الوحيدة التي صحت فيها الحديث.

وما يتعلق بالقدرية: لم يثبت مرفوعًا «**القدرية مجوس هذه الأمة**».

فهي الفرقة الوحيدة التي ثبتت فيها أحاديث مرفوعة عن النبي ﷺ، وكما قال الإمام أحمد : ثبتت الأحاديث فيهم من عشرة أوجه.

وبين النبي ﷺ أن الخوارج اغتروا بالنظر في الأصلين، الخوارج ليسوا من الفرق التي عندها موقف من النصوص، يعني: من عدم تعظيم النصوص، الخوارج من أشد المتمسكين بالنصوص في الظاهر، ولكنهم ليسوا على منهج الصحابة في فهم النصوص.

أنت عندك الجهمية والمعتزلة موقفهم من النصوص موقف القريب من المكذب، لا أقول المكذب، بل القريب من المكذب، النص آخر ما يفكر فيه، يحدد موقفه من المسألة بالتفصيل وينظر في النصوص آخر الأمر، لأن الحل بالنسبة للنصوص حلول جاهزة ليس فيها إشكال، أول شيء يقال: هذا متشابه، هذا النص الذي يخالف موقفي متشابه، هذا مجاز، هذا مؤول، هذا دخيل، خبر واحد، ظني دلالة، حلول كثيرة جاهزة، ولذلك آخر ما ينظرون في النصوص.

الخوارج ليسوا هكذا، ولذلك هذا مكمن الخطورة، هم في الظاهر، الذي يغر الناس تمسكهم الشديد بالنص، وحالهم التي تدل على أنهم متشبهون بـ...، وأنهم هم القوم، وهذا الذي يشكل الخطر.

غير الخوارج حالهم يدل على موقفهم من النصوص، قولهم، موقفهم، حالهم، كله يدل على موقفه من النصوص.

المرجئة مثلًا: من الذي يغتر بهم؟

الخارجي؛ لا، عنده غلو، ولذلك جاءت هذه النصوص في التحذير منهم.

يقول النبي ﷺ في بيان أصل بدعتهم «**يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» هذا حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الصحيح.

ويقول: «**يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام**» حديث علي بن أبي طالب في الصحيحين.

إذن، هم يقرؤون القرآن، ويقولون من قول خير البرية، أي: يستدلون بالكتاب والسنة، وهم دائمًا هكذا، هذا الوصف هو وصفٌ لازمٌ لهم قديمًا وحديثًا.

وردت أوصاف كثيرةٌ للخوارج، وهي في الجملة تنقسم إلى قسمين:

أوصاف لازمةٌ.

وأوصاف قد تكون لهم علامةً في وقتٍ من الأوقات، في زمنٍ من الأزمان، لكنها ليست أوصافًا لازمةً.

مثلًا: غلوهم في العبادة، الخوارج المعاصرين، كثير منهم تجده على غير هذه.

هذا ليس وصفًا لازمًا، ولكن هذه علامةٌ من علاماتهم، تقوى وتضعف حسب هواهم، ولكن هناك علامتان، هاتان العلامتان يمكن أن نقول أنهما من العلامات اللازمة، والأوصاف اللازمة للخوارج:

الوصف الأول: التكفير بغير مكفرٍ.

والوصف الثاني: استحلال الدم بذلك الكفر.

التكفير بغير مكفر، وهذا أدق من القول: التكفير بالكبائر؛ لأن التكفير بالكبائر لم يتفق عليه الخوارج، مع أن هذا مذهب أكثرهم، إلا أن هذا لم يتفق عليه الخوارج، فبعض أشهر فرقهم يكفر بالإصرار، سواءً أصر على الصغيرة أو الكبيرة، لا يكفر بالكبائر، ولا بالصغائر إلا إذا أصر على المعصية، فإن أصر على المعصية سواءً كانت صغيرةً أو كبيرةً يُكفر بها.

وبعضهم –وهذا غريب، وهم مثل الصوفية الغرابة فيها كثيرة- يكفر من حُد على ذنبه، كالسارق وقطعت يده، هذا الذي يكفره، أما قبل أن يُحد فلا يكفره، بالعكس، بعد أن يُطهر يكفره، من لم تقام عليه الحد لا يكفره، أليس غريبًا هذا؟

لا يكفرون إلا من أقيمت عليه الحدود، وبالتالي لا يكفرون إلا ما يستوجب إقامة الحدود، ويكفرونه بعدما تقام عليه الحدود!

وموقفهم من الصحابة مختلفٌ، ولكن يجمعهم التكفير بغير مكفرٍ، وبالتالي قد يجعل الذي يجب عليك ذنبًا، ويكفرك به، مثل الذي حدث مع علي بن أبي طالب ومعاوية ﵄، الموقف الذي اتخذه علي بن أبي طالب ومعاوية هذا الذي كان يجب عليهما لحقن دماء المسلمين، وهم جعلوه ذنبًا وكفروا الصحابة بهذا الذنب.

أقل ما يُقال في هذا، إن لم يكن من باب الوجوب، أقل ما يقال: أنه مباح، يجوز له أن يتخذوا هذه التدابير التي تحقن دماء المسلمين، وإلا فهذا الواجب في هذا الموقف، أي موقف يؤدي إلى حقن دماء المسلمين، وهم الصحابة، يجب على الاثنين؛ وكما قلت: أقل ما يقال فيه أنه مباح.

فحولوا هذا إلى ذنبٍ يستوجب الكفر، وهكذا تجد هؤلاء يكفرون بغير مكفرٍ.

هذا الذي يكفرون به قد لا يكون ذنبًا أصلًا، وقد يكون ذنبًا من الصغائر، وقد يكون ذنبًا من الكبائر، على كل حال هو ذنبٌ لا يكفر يكفرون به.

الوصف الثاني من الأوصاف اللازمة حسب النصوص للخوارج: استحلال الدم بذلك الكفر، كل من كفروه يستحلون دمه، وأنت لا تبحث عن الأمثلة، ما دام استحلوا دم علي بن أبي طالب، سبحان الله، والله العظيم كلما أفكر في واقعة قتل علي بن أبي طالب أستغرب، والله، كيف أن هذا أفضل الأمة في وقته بلا خلاف، الذين هم أفضل منه الخلفاء الثلاثة توفوا، فهو في وقته أفضل هذه الأمة، ويكون واجب القتل، أعوذ بالله، تُعقد الجلسات السرية لاتخاذ التدابير لقتله، أين العقول؟

وبالتالي لا تبحث.

هذا مذهبهم، ولذلك كانوا خطيرين.

فالتكفير بلا مكفر، واستحلال الدم، وأنتم تشاهدون هذا الآن، كيف أنهم يستحلون دم المسلم بشيءٍ غريبٍ، الآن: في سوريا، هذا كافر، وهذا كافر، وهذا كافر، لا ينجوا من الكفر من ذهب إليهم خاضعًا، حتى هو يكون دائم الترقب، قد يأتيه الحكم بأنه خرج، ويُقتل.

أصحابهم دائمًا في خوفٍ، قد ينزل الحكم فجأةً ويُصفى، هكذا الخوارج.

طبعًا: «**يقتلون أهل الإسلام، ويذرون أهل الأوثان**» وهذا يدل على هذا الوصف، لماذا يقتلون أهل الإسلام؟

لأنه أخرجهم من الإسلام، كفرهم.

ولماذا يدع أهل الأوثان؟

لأنه هناك قضية نحن وهم متفقون عليها: وهي أن أهل الردة خطرهم أكبر، ولكنه ينفذها في المسلمين، دائمًا تجدهم يقولون: نبدأ بأهل الردة، ويقصدون المسلمين.

خطرهم أكبر، دائمًا.

فهو يدع أهل الأوثان؛ لأنه لم يأت دوره أصلًا، وهذا الخارجي متى تفرغ من المسلمين؟

تاريخهم طويل، من النادر أن تجد هذا الخارجي في جبهات القتال مع الكفار، من النادر، حتى ولو كان هناك تجده منشغلًا بالمسلمين! ومن النادر أن ينفع الإسلام والمسلمين، الخوارج دائمًا ضررهم خطير ومستطير على الإسلام والمسلمين.

كما قلنا: النوع الثاني من الأوصاف، قد تكون أوصاف غير لازمة، من بعض الأوصاف أمور مباحةٌ في الأصل.

مثلًا: التحليق، مباح في الأصل، لكنه اتخذ شعارًا فصار علامةً لهم.

والآن: أيضًا علامة.

ولذلك: أي شيءٍ مباح إذا تحول شعارًا لفرقةٍ من الفرق المبتدعة فهنا يجب أن تبتعد عن هذا الشعار.

بعض الأخوة يقول: أيش في هذا؟ ليس فيها شيء.

الناس يظنونك أنك منهم، أقل شيء: لا تُكثر سوادهم، وبعدين: هذا شيءٌ مباح، هل يلزمك؟ أنت بإصرارك على هذا كأنك ترى أن هذا لازم عليك.

والمصلحة تقتضي: ألا يُكثر سواد هذا المبتدع.

ومنها: أمورٌ ليس لهم دخلٌ فيها: كونهم حدثاء الأسنان، لأنها أمور ترجع إلى الخلقة، ولكن الأمر الذي يتحمل هو مسؤوليته، أنه في هذا العلم يبدأ يفتي، يتحمل مسؤولية أنه جعل نفسه مفتيًا في هذا.

هذه سمة الخوارج، أنه قد لا يكون وصل إلى الثلاثين، وتجده بجرة قلم يسقط هذا، ويسقط هذا، هذا ليس من أهل الميدان فلا يُسمع منه، وهذا من أهل الميدان فلا يُسمع منه.

ومن النادر أن تجد لهم عالمًا؛ لأن الخوارج في الموقف من العلماء بينهم وبين الرافضة، على طرفي نقيض، هؤلاء يقولون بالعصمة، وهؤلاء لا يعترفون بأحدٍ.

وهذه الأوصاف كثيرةٌ وردت في النصوص، وهي كما قلنا: قد تقوى وقد تضعف، وقد توجد وقد لا توجد في بعضهم، أما التكفير بغير مكفر واستحلال الدم بهذا الكفر، فهذه السمة لازمة، لا يكون خارجيًا إلا وفيه هذه العلامة.

غلوهم في العبادة مثلًا، قراءة القرآن، والتزامهم بالسنة، هذا شيءٌ ممدوح، لكنه تحول وصار مذمومًا؛ لأن قراءتهم كما قال النبي ﷺ: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» القراءة التي لم تصل إلى القلب، هذه قراءة سطحية.

لماذا لا تكون قراءتك قراءة فهمٍ وتدبرٍ؟

لأنك أصلًا مقتنع أن هذه القراءة التي تكفيك، هذا ليس عجزًا، هذا منهجك أصلًا، قد يشترك معهم بعض المسلمين في هذا، لكن ليس ديانةً، وليس تأصيلًا وليس تقعيدًا، ولكن عجزًا، أقل ما فيه يعترف أن هذا مقدوره.

لكن هذا يظن أنه قد وصل إلى ما ينبغي أن يصل إليه المفتي.

وكذلك : كما في قول النبي ﷺ: «**يقولون من قول خير البرية**» ومع ذلك «**يمرقون من الإسلام**» لأنه دائمًا استدلالاتهم لا يجمعون فيها النصوص، يستدل بما يظن أنه مؤيدًا لبدعته، ولا ينظر للنصوص الأخرى، مما يدل على سطحيته.

وهذا الجانب وإن زعم أنه يعظم النصوص، ففيه إهدارٌ للنصوص، ولذلك منهج الخوارج في فهم النصوص منهجٌ من أبعد ما يكون عن منهج الصحابة والعلماء؛ لأنه تجده جامدًا على نصٍّ ولا ينظر إلى النصوص المتكاثرة جدًّا، وتجده يعتد بنفسه وعقيدته في نفسه؛ لأنه لا يرى غير نفسه، «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم**»، وهذا غلوٌ.

والخوارج مراق، كما قلنا التعبير هذا من أدق ما يكون.

ثم ذكر بعض التفاصيل التي تتعلق بمسألة سبق ذكرها في بداية الرسالة، وقد تكون هي المسألة الثانية، وهي القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وذكرنا أن تلك الجهات التي يشيران إليها خمسة، الحفظ التلاوة السمع النظر الكتابة، لخصناها من كلام الإمام أحمد.

وهنا يذكران بعض المسائل التي تتعلق بتلك المسألة، هناك قررا عقيدة أهل السنة: أن القرآن غير مخلوق.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ. وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ ولا يجهل فَهُوَ كَافِرٌ.

الشرح

من يقول أن القرآن مخلوقٌ، هذا ممن لا يثبت شيئًا من الصفات، وهذا مذهب الجهمية.

المعتزلة الأوائل لم يكونوا يقولون بخلق القرآن.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، يشير هنا إلى الجهمية أنفسهم، بالنسبة إلى المعتزلة لم ينضموا إلى هذا المذهب إلى متأخرًا، أوائل المعتزلة لم يكونوا يقولون بخلق القرآن. هذا ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية، أن أوائل الاعتزال، كواصل وعمرو بن عبيد، لم يقولوا بخلق القرآن.

فالمقصود هنا بهذا التكفير هم الجهمية.

ومن انضم إليهم كالمعتزلة وغيرهم، يشملهم هذا الحكم.

فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ. وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ ولا يجهل فَهُوَ كَافِرٌ.

كل من يقول: القرآن مخلوق، هو ممن لا يثبت شيئًا من الصفات، ومن يقول القرآن مخلوق، لا يثبت أن الله متصفٌ بأي صفةٍ، وبالتالي لا يتصف بصفة الكلام، وبالتالي ليس له كلامٌ أنزله على رسله، والكتب المنزلة كلها مخلوقةٌ عندهم، فعندهم مناقضةٌ لشيءٍ من وظيفة الرسالة، وعندهم مناقضة لجانبٍ من جوانب التوحيد، جانب من جوانب التوحيد أنك تعتقد بأسمائه وصفاته وأن الله متصفٌ بهذه الصفات، ومتسمي بالأسماء التي سمى نفسه بها، وهذا توحيد الأسماء والصفات، وهذا يناقض هذا.

هذه المسألة عنوانٌ للقول بخلق القرآن، وعنوانٌ لنفي الصفات كلها؛ لأجل هذا يحكمون عليه بالكفر، من قال بخلق القرآن فهو كافرٌ.

وتنزيله على المعين: هذه مسألةٌ تدخل في التكفير عمومًا.

هناك فئةٌ تتفق معهم بأن هذا القرآن المنزل مخلوقٌ عندهم، وهم الأشاعرة، وكذلك الماتريدية، يرون أن القرآن مخلوقٌ، هل يشملهم هذا الحكم؟

لا يشملهم قطعًا؛ لأنهم أولًا: ليسوا ممن ينكرون جميع الصفات، قلت لكم من يقول القرآن مخلوق ينكر جميع الصفات، ولذلك جاء هذا الإشكال عندهم، بما أنه ينكر الصفات لا يرى أن الله متصفٌ بأي صفة، بالتالي ليس متصفًا بصفة الكلام، وبالتالي هذا الذي نجده مخلوق من المخلوقات، وليس كلامٌ لله، وليس صفةً له، وإذا لم يكن صفةً له فهو مخلوق.

الأشاعرة يثبتون بعض الصفات، وهم أيضًا يجعلون نصف القرآن مخلوقًا ونصفه غير مخلوق، النصف الذي يرونه مخلوقًا هذا النصف الموجود الذي هو ألفاظ وسور هذا المنزل، أما معناه فيقولون: غير مخلوق.

ومذهبهم على كل حال، هو من أسوأ المذاهب، ومع ذلك لا يشملهم هذا الحكم اتفاقًا، لا أحد يكفرهم من أهل السنة لأجل هذا، والرازيان أيضًا لا يقصدان أولئك.

الكلابية كان لهم وجودٌ في وقتهما، ابن كلاب أكبر من الرازيين، توفي سنة (٢٤٠) وأبو حاتم توفي سنة (٢٧٧) وأبو زرعة (٢٦٤) بعد الإمام مسلم بثلاث سنوات، الإمام مسلم توفي سنة (٢٦١)، هم من طبقةٍ واحدةٍ.

فمذهب الكلابية كان موجودًا في هذا الوقت، وكان معروفًا، ومع ذلك هم لا يقولان به.

وهناك أيضًا سببٌ من الأسباب التي تجعلنا نجزم أنهم لا يقصدون الكلابية، الكلابية في ظاهرهم يحاربون المعتزلة، تجد في كتبهم أن من يقول القرآن مخلوق فهو كافر، في كتبهم؛ كيف وأنت تقول بخلق القرآن؟

في العناوين: من يقول بخلق القرآن فهو كافر، أو تجده يذكر الخلاف في تكفيره وعدم تكفيره، مع أنه في الأخير معهم في خلق هذا القرآن المنزل، بعد التفصيل تجده يقول: قصدي بالقرآن الكلام النفسي، أما هذا القرآن المنزل فمن يقول بقدمه هم جهلة الحنابلة، ولسنا نحن، يقولون: بقدمه جهلًا وعنادًا.

فهم ليسوا ظاهرين في هذه المسألة، وتجده يوصون بإخفاء هذه المسألة في كتبهم، هذه المسألة لا تُظهر للعوام حتى لا يلتبس مذهبنا بمذهب من يقول بخلق القرآن. وأيضًا: لما صارت فتنة خلق القرآن، كانت الأمة نبذت المعتزلة جملةً وتفصيلًا، فمن يوافقهم في هذه المسائل سيلحق بهم، ولذلك

تجد ظاهرة المراوغة كما أسميها عند الكلابية عمومًا وعند الأشاعرة خصوصًا، موجودةٌ عندهم في أبواب كثيرة، في باب القدر، في باب الإيمان قليلًا، في باب القرآن والرؤية واضحة، لا هو معك ولا هو مع المعتزلة، في باب أسماء الله، يقول: أسماء الله غير مخلوقة، وفي النهاية يوافق المعتزلة في خلق القرآن وأسماء الله في القرآن، إذن هي مخلوقة.

على كل حال، ليس هناك من أهل السنة من يكفر الأشاعرة، ومن ينسب هذا إلى أهل السنة إما جاهل أو متجاهل، أنا أسمع لبعض الأخوة ينسبون إلى أهل السنة أنهم يكفرون الأشاعرة.

لا أحد يكفر الأشاعرة بتاتًا، هذه مسألةٌ لا أحد يختلف فيها، إذا كان جماهيرهم لا يكفر المعتزلة فكيف بالأشاعرة.

مصيبة الأشاعرة أنهم هم في البداية أرادوا مناوأة المعتزلة، الكلابية والأشاعرة أصل نشأتهم مرتبطٌ بنشأة المعتزلة والجهمية لما رأوا غلوهم في تقديم العقل على النقل، ولما رأوا وجود هذه النصوص واستخفافهم بالنصوص، أرادوا نصر السنة.

هذا أصل نشأتهم، ولكنهم لم يكونوا مؤهلين للدفاع عن الكتاب والسنة، لم يحصنوا أنفسهم، ولم يؤهلوا أنفسهم، الذي يدافع عن الكتاب والسنة يكون عالمًا بالكتاب والسنة، ولذلك تأثروا بمن يردوا عليهم، وشيئًا وشيئًا وقعوا في...، وكلما تأخر بهم الزمن اقتربوا من المعتزلة أكثر.

وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ يَقُولُ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

الشرح

هذا الشاك لماذا يُحكم عليه بأنه جهمي؟

لأن شكه ليس عن جهلٍ، شكه عن خلفيةٍ يعتقدها، شكه ليس عن الجهل، الجاهل لا يسمى بشيءٍ من هذه، لا هو جهمي ولا ..

شكه هنا له خلفية اعتقادية يعتقدها، هو مقتنعٌ بقول الجهمية، فلذلك يظهر التبرؤ يقول: لا أقول مخلوق أو غير مخلوق.

ما الذي أوقعك في الشك؟ كلام الله تشك فيه لماذا؟

ليس جهلًا، وإنما هو مقتنع بكلام الجهمية، من ليس مقتنعًا بكلام الجهمية لن تجده يشك أبدًا، هل وجدت أحدًا من المسلمين ممن لا يتأثر بالجهمية يشك في كلام الله: هل هو مخلوق أو لا؟

القرآن من كلامه، وكلامه صفة من صفاته، فتشك في ماذا؟ ولماذا؟

فهذا الحكم ليس مبينًا على التحامل؛ هذا الحكم دقيق لأنه يشير إلى خلفية هذا الشاك، فهو جهميٌّ، وإلا ما الذي جعله يشك.

وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ.

الشرح

جاهلٌ ما يدري.

شك الأول: شك من يعتقد في شيء معين.

وشك الثاني: شك الجاهل.

يُقال له: لماذا تشك والأمر كذا وكذا؟ فتجده يرجع إلى الحق بكل سهولة، أما الأول لا؛ هذا جهمي؛ لأنه يعتقد شيئًا، ولذلك جاء التفريق.

وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

الشرح

من يقول: لفظي بالقرآن مخلوقٌ. هؤلاء يسمون اللفظية، واللفظية صنفان.

والإمامان هنا يشيران إلى صنفٍ من هذان الصنفان:

الصنف الأول: الجهمية، وهذا الصنف الذي أشارا إليه، يرون أن القرآن مخلوق، اللفظ عندهم بمعنى الملفوظ، لفظ بالقرآن: أي: ما أقرأه وما أتلفظ به وملفوظي ومتلوي ومقروئي مخلوق.

ما الذي تلفظ به؟

القرآن، فهذا جهميٌّ، فيكون جهميًّا واضحًا.

أو قال: القرآن بلفظي مخلوق.

يعني: القرآن سواءٌ قرأته أنا، قرأه غيري مخلوق.

لذلك هو جهمي؛ لأنه يرى أنه القرآن، وهو الملفوظ، وهو الذي تلفظ به مخلوق.

الطائفة الثانية، الذين بدعهم الإمام أحمد: الذين لا يرون القرآن مخلوق، ومع ذلك يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق.

طبعا كثر وورد عن الإمام أحمد التركيز على هذه المسألة؛ لأن الكلابية كانوا يجعلونه شعارًا، هم يوافقون الجهمية في كون القرآن مخلوق، ولكن لا يتجاسرون به، فيتسترون ببعض الألفاظ مع أنها تؤدي إلى نفس، لفظي بالقرآن مخلوق، وهو يريد الملفوظ.

الفئة الثانية الذين لا يرون القرآن مخلوق، ومع ذلك يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، المراد باللفظ عندهم التلفظ، وهذا صحيحٌ، لكن الإمام أحمد بدعهم؛ لأن هذا فيه سدٌّ للباب؛ لا تقل لفظي بالقرآن، ما وجدت عبارةً تعبر بها إلا هذه العبارة؟ هذه العبارة صارت شعارًا للكلابية وهم جهمية، يوافقونهم فيها، فلماذا تلجأ لمثل هذه العبارات، وتتستر بها؟ أنت لست في حاجة لهذه العبارة أصلًا.

من يرى بأن القرآن غير مخلوق، ويعتقد بذلك ليس بحاجة لمثل هذه العبارة، مثل هذه العبارات لجأ إليها من كان موقفه غامضًا، ولا يريد أن يُعرف موقفه، أما أنت ليش تعبر بهذا؟

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وهو الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم راوي هذه الرسالة.

وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: في البداية قال: سألت أبي وأبا رزعة، أي: من هناك إلى هنا قول الرازيين، أما ما هنا فقول أبي حاتم فقط، وأبو أبو حاتم الرازي.

وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ ، وَعَلَامَةُ الزَّنَادِقَة تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الْآثَارِ.

الشرح

هذه العلامات التي ذكرها الإمام أبو حاتم تلخص لك موقف الطوائف كلها من أهل السنة، أله السنة يتميزون بالتمسك بالكتاب والسنة، أما القرآن فيدعيه الجميع، أما السنة فمواقف الطوائف فيها من حيث البداية من حيث الأصل متباينة.

وهناك من يقول: أن أخبار الآحاد لا يستدل بها في الاعتقاديات في اليقينيات، وبالتالي لا يؤخذ بها، وهناك من يقول: السنة كلها لا يحتج بها.

السنة، مواقف أهل البدع فيها متباينة.

من المعروف بجمع هذه السنة والاهتمام بها روايةً ودرايةً؟

أهل السنة.

جميع أهل البدع عندهم مخالفةٌ ما لجزءٍ من السنة، والسنة هي بضاعة أهل الحديث أهل الآثار، هذه السنة يخالف جزءًا منها طائفةٌ من أهل البدع، وجزءًا منها طائفة من أهل البدع، وجزءًا منها طائفةٌ من أهل البدع.

وأهل السنة في الوسط، معهم هذه السنة، بضاعتهم، هم أهلها، عُرفوا بها وعُرفت بهم، كل من له موقفٌ من شيءٍ من السنة يلحقهم لأنهم أهلها.

مثاله مثلًا: هذه بضاعة معينة عُرفت بها، وعرضتها على الناس، واتخذوا مواقف من هذه البضاعة، كل موقف يُتخذ من هذه البضاعة سيلحقك شيءٌ منها؛ لأنك صاحبها، من يحب هذه البضاعة سيحبك، من جعلها رخيصةً ستكون رخيصًا عنده، من أراد أن يسقطها سيسقطك.

كيف سيسقطك؟

سيسلط عليك، سيشوه سمعتك بكل ما يستطيع.

هكذا السنة، علاقتها مع صاحبها، وهم أهل السنة، ارتباطها مع صاحبها ارتباط وثيق، أي موقف من السنة يلحق صاحب السنة، وبالتالي هذا الذي خالف السنة في باب الجزئية في باب الإيمان يسميك؛ لأنك تخالف، خالف السنة وبالتالي خالفك، فله موقف من السنة وموقف منك.

هذا الذي خالف السنة في القدر، سيسمك اسمًا خاصًّا.

هذا الذي خالف السنة في توحيد الأسماء والصفات يسميك اسمًا خاصًّا.

وبذلك تعددت أسماء أهل السنة، إذا أردت أسماء أهل السنة في قواميس أهل البدع ستجد شيئًا غريبًا جدًّا ستجد أن هذا السني عبارة عن مجمع التناقضات، لذلك يقول في الأخير: ولا يلحق أهل السنة إلا اسما واحدًا حتى ولو كان اسمًا رديئًا، سيكون اسمًا واحدًا، كيف صاروا: مشبهة مجبرة نقصانية مخالفة ناصبة حشوية، حتى ولو كانوا يستحقون اسمًا قبيحًا سيكون اسمًا واحدًا.

لذلك لتباين موقفهم من السنة تعددت أسماء أهل السنة عند أهل الفرق.

وهذا يجعلك تعتز بالسنة أكثر، لأن هذه المواقف ما لحقتك إلا لارتباطك بالسنة، فهذه المواقف في الحقيقة نحن نعتز بها.

إذا رضي عني الجهمي، فأنا أشك في نفسي.

إذا رضي عني رضًا تامًا الأشعري أو الماتريدي، واعتبرني صديقًا له، ولم يعتبرني، هذا يجعلني أشك في نفسي.

هذا الخارجي إذا بدأ يثني علي، فأنا أشك في نفسي.

إذن هذه المواقف كلها تدل على أن هناك شيئًا لابد أن تعتز به، وهو سنة النبي ﷺ، بها عُرفتَ وبك عُرفتِ، كما ذكر الإمام أبو المظفر السمعاني، له كلامٌ جميلٌ جدًّا جدًّا، نقله تلميذه الأصبهاني في «الحجة» ونقله أيضًا السيوطي ونقله أيضًا شيخ الإسلام في بعض كتبه، يذكر فيه تميز أهل السنة، وكيف أنهم ارتبط اسمهم بالسنة، يقول: كل صاحب بضاعةٍ، أولًا يفتخر ببضاعته وبحرفته، كل صاحب حرفة يفتخر بحرفته، لا تجد شخصًا يزاول حرفةً ويكره أن يُنسب إليها، يفتخر بها، ويُعرف

بحرفته، ليس هذا فقط؟ يعرف بأدوات هذه الحرفة، المهندس تجده عنده كذا وكذا، كله يدل على أنه مهندس، وكذلك غيره من الحرف، صاحب الحرفة يُعرف بأدوات الحرفة، ويعرف باعتزازه به، ويعرف بعلمه بها، يُعرف بها وتُعرف به.

ما هو الشيء الذي يُعرف به المحدث؟

البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ لما يذهب من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، بحثًا عن ماذا؟ بحثًا عن المال؟

بحثًا عن حديث رسول الله ﷺ، وكلما دخل بلدةٍ المبتدعة هناك يصفونه بأنه حشوي، لماذا؟

لأنه يبحث عن شيءٍ هو حشوي لهذا المبتدع، ليس ذا قيمة، فهو عندهم حشوي، أما هو: فهذا أهم ما يجب أن يبحث عنه، المحدثون هؤلاء لما تنظرون في رحلاتهم شيءٌ خياليٌّ.

أذكر ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ هو من الرحالين، تلميذ ابن خزيمة، وابن خزيمة تلميذ البخاري، روى حديثًا في صحيحه عن عشرةٍ من شيوخه، هؤلاء الشيوخ بعضهم خرسانيين بعضهم من العراق، من شتى البلدان، نسيت الآن من أين هم، هؤلاء العشرة من أغلب بلدان المسلمين، حديثٌ واحدٌ، هذا الحديث بعدما أخذه ابن حبان عن هؤلاء يعتبر جهده ولا شيء في مقابل ما حصله، أما هذا الذي يرى البضاعة كاسدة، فلا يزال يراه حشويًّا.

أقول: كل موقف يُتخذ من السنة يلحق السني بنوعٍ من العيب، فلذلك هذه الأسماء عديدةٌ ومختلفةٌ ومتباينة.

أولًا: وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ.

الشرح

هذا شيءٌ يجتمع عليه الجميع، لماذا الوقيعة في أهل الأثر؟

لأن الأثر والسنة هي التي خالفوها، ومن الذي دافع عنها؟

هو هذا.

القدري لما يرد هذا الحديث، من الذي سيدافع عن هذا الحديث؟

الإمام أحمد.

الجبري؟

الإمام أحمد.

المشبه؟

الإمام أحمد.

الناصبي؟

الإمام أحمد.

الرافضي؟

الإمام أحمد، هو هو عدو الجميع.

فلذلك علامة أهل البدع عمومًا الوقيعة في أهل الأثر.

وَعَلَامَةُ الزَّنَادِقَة تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً

لماذا؟

يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الْآثَار.

الشرح

همهم إبطال الآثار، همهم إبطال السنة، فكيف يسقطونها؟

بإسقاط حاملها، يسميه الحشوي، يسميه النابت، يسميه الجاهل، النبي ﷺ سموه ساحر كاذب، ليس هناك شيءٌ لم يصفوه به.

فصاحب السنة له نصيبٌ من هذه العداوة.

يريدون إبطال الآثار، فلذلك صاروا زنادقة، والزنادقة هم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام.

وَعَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً.

الشرح

كلما سمعت: مشبه، مشبه، مشبه، عرفت أن هذا جهمي، يصفك بأنك مشبه؛ لأن إثبات الأسماء والصفات عنده يؤدي إلى التشبيه، التوحيد عنده إفراد القديم، التوحيد عند المعتزلي وعند الجهمي: إفراد قديم واحدٍ.

أما إذا وصفت الله بالصفات، وأثبت له الأسماء، فهذه الصفات إما أن تكون قديمةً ويستلزم تعدد القدماء، الله قديم، وهذه الصفة قديمة، ونحن قلنا: التوحيد إفراد قديم واحدٍ، إثبات قديمٍ واحدٍ، وهذا يستلزم تعدد القدماء.

سبحان الله، أحيانًا ما تصدق أن هذا مذهب، والله ما تصدق أن هذا مذهبٌ لعاقلٍ؛ الموصوف الذي يتصف بالصفات، الصفات ولو صارت قديمةً هي صفاتٌ اتصف بها الموصوف، متى يكون تعدد القدماء؟

إذا أثبت ذوات قديمةً، هذه الصفات كلها تقوم بموصوفٍ واحدٍ، أيش الإشكال؟

فيها تعدد القدماء، لأن التوحيد عنده إثبات قديمٍ واحدٍ.

من قال لك أن هذا هو التوحيد؟

فمن يثبت أن الله ﷻ له الأسماء والصفات، هذا يقع في التشبيه!؛ لأن الله ﷻ هو القديم ومن يثبت أن له صفاتًا، هذه الصفة تكون مشابهةً له في القدم، تكون مثله في القدم.

وقصة التشبيه تبدأ من دليل حدوث الأجسام، أو دليل الأعراض.

وهذا الدليل به يثبتون حدوث العالم، وبه يثبتون وجود الله، وهذا الدليل يقتضي أن أي موصوفٍ فهو حادثٌ، كل من يوصف بصفةٍ فهو حادثٌ، ولذلك يرون أن الله لا يوصف بالصفات؛ لأن إثبات الصفات له هذا في تشبيه.

وقصة هذا الدليل طويلة.

وسموا أهل السنة مشبهةً لأنهم يعتقدون أن نفي الصفات تحقيقٌ للتوحيد، وأن التوحيد لا يتحقق إلا بنفي الصفات.

وَعَلَامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الْأَثَرِ مُجَبِّرَةً.

الشرح

أهل السنة في الوسط، والفرق هؤلاء هم يمينًا ويسارًا وشمالًا وجنوبًا فرق متقابلة متباينة، هذا الجبري يلحقه بالقدري، والقدري يلحقه بالجبري، الجهمي يلحقه بالمشبه، والمشبه يلحقه بالجهمي، وهم في الوسط، ويباينون الجميع، ويخالفونهم، وكل مبتدعٍ يلحقه بمقابله.

وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرةً؛ لأنهم يثبتون القدر، ويثبتون جميع مراتب القدر، منهما عموم مشيئة الله، وعموم الخلق، وهذا عندهم جبرٌ، ولذلك في كتب القاضي عبد الجبار وغيره من المعتزلة، إذا قال: الجبرية، يقصد أهل السنة.

وَعَلَامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنُقْصَانِيَّةً.

الشرح

نقصانية؛ لأنهم يرون أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد لا إشكال، ينقص: إذن أنت نقصاني؛ إذن إيمانك ناقص دائمًا.

مخالفًا: لأنك تخالف هذا المبتدع، وأنت مخالفٌ عند الجميع.

وَعَلَامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً.

الشرح

لأنه كما يقولون: لا ولاء إلا ببراء.

أهل السنة وسط بين من يعادي الصحابة وبين من يعتقد في بعضهم العصمة، ويحبون جميع الصحابة، **هذا أصلٌ.**

ثم يرون التفاوت فيما بينهم كما ذكرنا أشياء من هذا في مبحث الصحابة.

وعندهم حب فلانٍ لا يتحقق إلا ببغض فلانٍ، لا ولاء إلا ببراء، فأنت لما تقول: أحب علي بن أبي طالب، ونحن نحب علي بن أبي طالب، نحبه لأمرين:

الأول: لأنه حب الإسلام.

الثاني: لأنه من آل بيت النبي .

وأهل السنة يحبونهم لأمرين:

لقرابتهم؛ لقربهم من النبي ﷺ، لأنهم من ذلك النسب الشريف.

والنبي ﷺ أوصى بهم.

فأهل السنة يحفظون فيهم وصية النبي ﷺ، ولكن الإشكال عندهم أنه لا يقبل حبك لعلي بن أبي طالب إلا إذا تبرأت من الشيخين؛ لا ولاء إلا ببراء؛ فلذلك إذا لم تتبرأ من الشيخين تظل ناصبًا.

ونحن نحب ونوالي جميع الصحابة، ونؤمن بهذا الترتيب، ترتيب الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، ونشهد الله ﷿ وملائكته والخلق أجمعين على حبنا للصحابة كلهم، فنحبهم، وحبهم كما قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حبهم دينٌ وإيمانٌ.

والذي يعادي الصحابة يراجع إيمانه هو.

ثم يقول في الأخير: وَلَا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ.

الشرح

ما هو هذا الاسم؟

أهل السنة.

لماذا؟

لأن كل هذا العداء جاءهم لأجل موقفهم من السنة.

لماذا كانوا غرضًا لجميع الطوائف؟ لماذا عودوا؟

نحن نقول للأشاعرة: أن الحديث إذا صح فهو حجةٌ في العقائد والأحكام، وهم يقولون: لا؛ أخبار الآحاد لا يُحتج بها في الاعتقاديات، لأن الاعتقاديات مجالها مجال اليقين، وأخبار الآحاد ظنيةٌ.

طيب: أخبار الآحاد إذا صارت ظنيةً، وبيت الأخطل النصراني قطعيًّا؟

فمن الذي يدافع عن أحاديث النبي ﷺ وعن سنة النبي ﷺ؟

هذا الذي سموه حشوي، وهذا الذي سموه مشبه.

نحن عند الأشاعرة مشبهةٌ، ونحن عندهم مبتدعةٌ، وهم أهل السنة.

لماذا صاروا أهل السنة؟

لأنهم أسقطوا السنة، وهذا هو الواقع، نحن نتمنى أن يكونوا أهل السنة، نتمنى للجميع أن يكونوا أهل السنة، والله نتمنى هذا، نتمنى أن يعرف المسلمون كلهم مكانة سنة النبي ﷺ، لا أحد يشكك فيها، فهي وحيٌّ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

فإذا عرفوا مكانة السنة، والتزموا بمنهج الصحابة في فهم السنة والكتاب انتهت هذه الخلافات، نحن نتمنى هذا للجميع، ولكن من له موقف من السنة لابد أن نرد عليه، ولابد أن نبين أنك بعيدٌ عن السنة، كيف تكون من أهل السنة وأنت تعادي السنة وتسقط السنة، وتعادي السنة، وتسقط السنة؟ وترى أن السنة هذه ليست حجةً في الاعتقاد؟

كيف صرت أهل السنة، وأنت ترى السنة لا يجوز الاحتجاج بها في مصادر الاعتقاد؟

من متى صرت أهل السنة؟

كن من أهلها حقيقةً، عظمها، واستدل بها، وافتخر بها، واهتم بها روايةً ودرايةً، السنة للجميع، ليست حكرًا على أحد.

أما يكون لك موقف تسقط السنة هكذا بهذا التقسيم الجائر، وتكون من أهل السنة؟

لا يكون من أهلها إلا من يهتم بها روايةً ودرايةً، ويستدل بها، ويراها دينًا ويراها وحيًّا.

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحدا، اسم أهل السنة، وأهل الشيء هم أخص الناس به، أهل هذا المسجد، أنا آتي من الجهراء وأقول: أنا أهل هذا المسجد؟

لا يصح، أهله هم الذين يصلون به، أهل البيت أصحابه، وملاكه.

أما من يقدح فيها ويكون من أهلها؟

المعتزلة يقولون: نحن أهل السنة، ذكره أحد المعتزلة المتأخرة من الزيدية من اليمن له كتابٌ أظنه اسمه «المنية والأمل» يقول: نحن أهل السنة؛ لأننا عرفنا حقيقة السنة، قصده: فلم نستدل بها، وهؤلاء يستدلون بكل شيءٍ ويرون أنهم أهل السنة.

ما شاء الله! في النهاية صرت أنت أهل السنة!

على كل حال، نحن نعتز بهذه السنة، وندعوا الله ﷻ ونسأله بأسمائه وصفاته أن نعيش عليها ونموت عليها، ونعتقد أنها دينٌ ووحيٌّ وندافع عنها، ولكن هذا لا يحملنا على ظلمهم، كل فرقةٍ يُتحدث عنها بما فيها.

وأهل السنة كما قال شيخ الإسلام: أعلم الخلق بالحق، وأرحمهم بالخلق.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ.

الشرح

يقول: حتى ولو افترضنا أن لهم اسمًا غير أهل السنة، سيكون لهم اسمٌ واحدٌ، فكيف صارت هذه الأسماء كلها ؟ ويستحيل أن تجمعهم كل هذه الأسماء.

هذا القدري عندنا قدري، لا نقول عنه جبري.

أما السني: القدري يقول عني: جبري. وهذا يقول عني: قدري. المرجئ يقول عني: خارجي معتزلي، وهذا يقول عني: مرجئ، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: الراوي، ابن أبي حاتم:

وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهِجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ.

الشرح

هذا أصلٌ يتفق عليه جميع أهل السنة، أن الأصل في المبتدع: الهجر.

ولكن مع ذلك يُنظر إلى السبب الذي من أجله يُهجر، لماذا يُهجر؟

تحصن نفسك منه، أولًا؛ حتى لا تتأثر به.

وتُميت بدعته أيضًا.

إذا ما هجرته، قد تتأثر به، وقد تنتشر البدعة بسببك.

وسببٌ آخر مهمٌ أيضًا: رسالةٌ له، أنك ما ترضى طريقته، وهذا قد يجعله يراجع نفسه، ففي الهجر مصلحةٌ ترجع إليك، ومصلحةٌ ترجع إليه.

إذا رأيت أن هذه المصلحة لا تتحقق، وأن الأمر ينقلب إلى ضده، وأنك إذا هجرتك قد يزيد شرًّا، قد يتلقفه بعض الناس، هنا: لا تهجره، واصبر عليه، ولكن انتبه لنفسك.

أما إذا رأيت أنه إذا هجرته يزيد شرًّا، وإن لم تهجره خطر عليك وعلى كثيرٍ من الناس فهنا تغلب مصلحة نفسك، مصلحة نفسك هي مصلحةٌ دينية، وليست مصلحةً دنيوية.

فهذا أصلٌ، ولكن كما قلنا: يختلف الوضع فيها من بلدٍ إلى بلدٍ ومن مكانٍ إلى مكانٍ ومن بيئةٍ إلى بيئة ومن وقتٍ إلى وقتٍ، قد يصلح هنا ولا يصلح في مكانٍ آخر مثلًا.

وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِرَأْيٍ فِي غَيْرِ آثَارٍ.

الشرح

ما هي حاجتنا إلى الرأي ونحن أمة الوحي؟

والكتب هذه توضع في الدين، فما حاجتنا إلى الرأي؟

ولذلك أهل السنة والمحدثون؛ لهم رأيٌ شديدٌ جدًّا فيمن يضع الكتب بغير الآثار، يضع الكتب بالرأي في الفقه أو في العقيدة، ولذلك حملتهم الشديدة على أهل الرأي معروفة.

أرأيت، أرأيت.. يسمونهم الأرأيته.

نحن لسنا بحاجةٍ إلى رأيٍ إلا إذا كان اجتهادًا، والاجتهاد يكون مبنيًّا على النصوص، وهذا لا يكون في العقيدة فقط، بل هذا عام، هذا منهج المحدثين عمومًا.

وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

الشرح

لماذا ينهيان عن مجالسة أهل الكلام؟

لأن الجرب الذي فيهم قد يصيبك، والمتكلمون عمومًا مبدأ علم الكلام كما يدعون: تنزيه الله، قصتهم تبدأ بهذا المبدأ الجميل، هل تخالفه في هذا الأمر؟

ما أخالفه.

هل تخالف الجهمي هذا الذي له مجلس هنا؟ والجعد بن درهم والمريسي وغيره من رؤوس وأوتاد المتكلمين؟

كلهم القضية التي تشغلهم : تنزيه الله ﷻ.

أليس خطيرًا هذا؟ تجلس معه تتأثر به.

لذلك كانا ينهيان عن مجالسة أهل الكلام؛ لأن كلامهم فيه ما فيه من الشبه التي قد تتحكم فيك.

وكما قلت: جميع المسائل يربطونها بالتنزيه، تنزيه الله ﷻ، لماذا ننكر الصفات؟ تنزيهًا له عن الشريك. لماذا ننكر تسميه بالأسماء؟ تنزيهًا له عن الشريك. لماذا نسقط هذه الأحاديث؟ لأنها تُشكل وتخدش في التنزيه.

لذلك لا ننصح حتى بالنظر في كتب المتكلمين، أنا شخصيًّا لا أنصح بالقراءة في كتب المتكلمين، لأن أهل السنة الذين ردوا عليهم كفونا مؤنتهم.

أما الذي عنده بحثٌ يريد أن يرد على فرقةٍ معينةٍ، فهذا مضطر يرجع لكتبهم حتى يكون رده عليهم دقيقًا؛ ينقل نصوص كلامهم من كتبهم، حتى يبين للناس أن هذا واقعهم، وهذه كتبهم؛ وإلا لا تعرضوا عقيدتكم للتلويث؛ لأن كلامهم قد يكون خطيرًا، وأنت إذا نظرت في عموم القضية التي يخوض فيها المتكلمون يتبين لك لأول وهلةٍ أن القوم عندهم ضلالٌ ما يستساغ؛ ولكنه قد يحول المسألة ويجعلها قضية تنزيه، فمن هنا قد يتأثر بهم البعض، وإلا هذا المتكلم من البداية لما يقول: أنا لا أستدل بالأحاديث، أعرف موقفه من البداية.

لو كان دينك صحيحًا لم يتناقض مع السنة.

هذا الحديث لا تستدل به، وهذا الحديث لا تستدل به، إذن هناك شيءٌ خرجت به من السنة، وإلا لماذا لم تستوعب النصوص ما تقوله؟ أو لماذا لم تنطلق من النصوص كما يفعل أهل السنة؟

كما قلت: هنا هذا السني، وهنا الفرق المتباعدة.

أهل السنة هنا ينظرون في النصوص، لا ينظرون إلى الفرق ثم يتخيرون فرقةً من هذه الفرق، محكومون بالنصوص، وحسب ما ورد في النصوص يتخذون الموقف، ولذلك لن تجد حديثًا يهمله السني؛ يجمع بين النصوص.

أما مخالفوهم فتجده يأخذ بجانبٍ من النصوص ويكفر بجانبٍ من النصوص يترك جانبًا من النصوص لا يهمه.

هذا الذي يستحل دماء المسلمين مهما جئت له من النصوص، ومهما أكثرت عليه من النصوص زاد عداوةً؛ لأن القضية عنده محكومة بـ...

فمجالسة المتكلمين والنظر في كتبهم إذا لم تكن هناك حاجة فلا ينبغي أن تنظر في كتبهم، والله ﷻ أغناك عنهم، احمد الله على العافية، أنت تحترم النصوص، قد ينقلب الإنسان مع مجالستهم إلى من يستهين بالنصوص، هذه خبر واحد، وهذا كذا، ويبدأ في مثل هذه الترهات.

وَيَقُولَانِ: لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا.

الشرح

كما قال الإمام أحمد: صاحب الكلام حتى ولو أصاب فهو مخطئ. لأن أصابته ليس تحريًا للحق، وإنما فجأة، مصادفة، وهذه الإصابة سيؤثر عليها بمنظومته التي هو منطلقٌ منها، ولذلك لا يفلح صاحب كلامٍ أبدًا.

متى يفلح؟

إذا ترك هذا المنهج، أما وأنه ينطلق من هذا الإطار فإنه لا يفلح أبدًا.

هذا المعتقد أخرجه ابن أبي حاتم في كتابه «أصل السنة واعتقاد الدين» وهذا يروى عنه بالأسانيد، ومن طريقه أخرجه اللالكائي في كتابه «شرح أصول الاعتقاد» كله، وأخرج بعضه الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، والهروي في «ذم الكلام وأهله»، وابن قدامة في «إثبات العلو»، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» وكذلك في كتابه «العرش» وكذلك في كتابه «العلو»، وذكره أيضًا بتمامه المقدسي في «مختصر الحجة على تارك المحجة»، وذكره شيخ الإسلام في عددٍ من كتبه، وذكره أيضًا ابن القيم.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يقول ابن أبي حاتم في الأخير: «وَبِهِ أَقُولُ أَنَا».

وَقَالَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ حُبَيْشٍ الْمُقْرِئُ الراوي عنه: «وَبِهِ أَقُولُ» .

قَالَ شَيْخُنَا أي شيخ اللالكائي ابْنُ الْمُظَفَّرِ: «وَبِهِ أَقُولُ» .

وَقَالَ شَيْخُنَا أي: الذي يروي عن اللالكائي يَعْنِي الْمُصَنِّفَ: «وَبِهِ أَقُولُ».

وَقَالَ الطُّرَيْثِيثِيُّ وهو الراوي: «وَبِهِ أَقُولُ» .

وَقَالَ شَيْخُنَا السَّلَفِيُّ هو الذي يروي عن الطريثيثي: «وَبِهِ نَقُولُ».

وقال ابن المقرئ وهو أبو بكر محمد بن إبراهيم: مذهبي في الأصول مذهب أحمد بن حنبل وأبي زرعة الرازي.

هل مرت علينا مسألة تحفظنا فيها أو خالفنا فيها الرازيين؟

لم تمر، لم تمر بنا مسألة قلنا هذه المسألة فيه تحفظٌ لأن موقف فلان فيها كذا وكذا، ورأينا أن كل ما ذكراه من المسائل التي لم يخالف فيها أحدٌ من أهل السنة، أو غالب أهل السنة.

ولذلك نقول: وبكل ما قرأناه نقول.

نحن نعتقد بكل ما ذكره الرازيان وبه نقول، ونتعبد الله بهذا الاعتقاد، ونسأل الله أن نكون على السنة، ونبقى على السنة، ونحيا عليها ونموت عليها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.